من هم الأرمن؟



جان أحمرانيان

أمين سر
« أصدقاء الثقافة الأرمنية »

صفحات شعب كتبت
بالعرق والدم والمجد

القاهرة ١٩٧٨

من هم الأرمن ؟

إهداء إلى مكتبة الإسكندرية من

تأليف : جان أحمرانيان
أمين سر
« أصدقاء الثقافة الأرمنية »



صفحات شعب كتبت
بالعرق والدم والمجد

تبرع بطبع هذا الكتاب

« أصدقاء الثقافة الارمنية »

بالقـــاهرة

مقدمة

من هم الأرمن ؟

في فندق من فنـادق نيـويورك جمعتني الصدفة مع شـاب أميركي اسمه روبرت كان يدرس الفلسفة بجامعة هارفرد · ومن الصدفة الى الموعـد ، الى اللقـاء ومن ثم الى الصداقة · وفي يوم من الايام سألني مستغربا : « شكلك لا يقول على انك لبناني ، فعقليتك ومنظرك وتفكيرك تختلف عن سائر أصدقائي اللبنانيين، يجب أن تكون من بلد آخر » ·

وصراحة هـذا الاكتشـاف من صديقي الامريكي كلفني وقتـا لكي أشرح له كيف أن جنسيتي لبنـانية وساكن في القـاهرة ، اما قوميتي فهي أرمنية ·

ـ « أرمنيان ، آوه يا » : في البدء كان يخيل له اني من سكان القمر ! ولكن سرعـان ما سـمع أقاصيص خرافية وحقيقية عن شعبي وتاريخه ، ابتدأ يحس بقوميتي أكثر ولـو أن هذا أيضا كلفني العناء خصوصا لما شرحت له ان أرمينيا تقع في جنوب روسيا ، لا بل وهي احدى دول الاتحاد السوفيتي · في الاوائل شك في أن أكون مخبرا ولكنه في النهـاية عرف انني لست من عملاء السياسة ولا من تجارها ·

ومرت الايام وعدت الى مصر واذا بى في يوم من الايام أستلم من ساعى البريد رسالة من روبرت الاميركي • فرحت أطالعها رغبة فى أن اعيش ذكريات أميركا الحلوة • واستغربت جدا عندما أخبرنى انه ابتدأ يتعلم الارمنية وانه تصادق مع شبان ارمن ويضيف على هذا الخبر الملحوظة الاتية : كل أسمائهم تنتهى بـ « يان » •

عزيزى القارىء ، ربما تعرفت فى حياتك على أرمنى سواء فى الشغل او فى الجامعة أو ربما لك جار أرمنى ، واستغربت لاول مرة حينما سمعته يتكلم مع أصحابه لغة لا شبيه لها فى اللغات التى تتقنها • وزاد استغرابك عندما رأيته منطويا على نفسه ، له عاداته وتقاليده وربما سالت نفسك ليس فقط من هم فرطان وأكوب وسركيس وشاكى ولوسين ، بل من هو الارمنى التى تتقمص شخصيتها تلك الاسماء • من هو الارمنى ؟ كيف حافظ على لغته وتقاليده وخصوصا من أين أتى وقصد القاهرة وعاش مع العربى • كيف وصل الى نيويورك وأصبح أكثر مخلصا من الاميركى ، كيف ذهب الى روما وباريس ولندن لا يعرف شيئا عنها وأصبح اليوم أشد تمسكا ببلاده من المواطنين الاصليين أنفسهم ؟ ما هى الظروف التى جعلته يذهب الى بيروت شحاذا فيصبح اليوم من كبار أغنيائها •

قصة الارمنى طويلة ولكنها شيقة فسترى من خلال هذه الصفحات تاريخ شعب مناضل وصل الى القرن العشرين بعد أن نزل من سفينة نوح ؟

المؤلف

القسم الأول :

أصل الأرمن ، بيئته ، لغته ، شخصيته

١ ـ غصن زيتون على جبل ارارات

أعطت الشعوب لنفسها صبغة خرافية لتاريخ أصلها اعتقادا أن كلما زادت الخرافة رونقا زادت قيمتها التاريخية . فهناك شعوب نسبت بها الاصل من الألهة ، وهناك شعوب أخرى اعتبرت نفسها مهد الانسانية .

والارمن من أين هم ؟

بلا شك أن تاريخ الارمن امتزج هو أيضا بالخرافة والاساطير . ولكن ثمة أدلة تثبت ان الارمن من أقدم شعوب العالم استنادا الى تقارير أسمى الكتب وهي التورات .

يقول العهد القديم ان طوفانا غمر الارض بعد أن استأ الله من تصرفات الخليقة ولكنه استثنى نوحا كونه صديقا سار حسب مشيئة الله تعالى . فصنع نوح مركبا وأدخل فيه امرأته وأولاده ونساءهم كما وأدخل ذكرا وأنثى من جميع الحيوانات للحفاظ على الخلفة . وتقول التورات ان سفينة نوح اعتلت فوق المياه بعد أن زال كل يابس وغمرت المياه أعلى قمم الجبال وأمطرت أربعين يوما . وتتابع التورات وصفها وتقول ان في اليوم الاربعين من توقف المطر أرسل نوح حمامة ريثما تعطى المزيد من المعلومات عن مصير الارض بعد الطوفان ولكن الحمامة قفلت عائدة صفر اليدين وعلم نوح أن الارض مازالت مستنقعا . وبعد أربعين يوما حاول نوح ثانية البحث عن اليابس وأرسل الحمامة . ولكن هذه المرة طال غيابها وعادت وعلى منقارها غصن من الزيتون . وفي محاولة أخرى عندما رأى نوح ان الحمامة تركت السفينة ولم تعد فتح مركبه ورأى نفسه على قمة جبل يدعى **ارارات** ، وهذا الجبل يقع في أرمنيا .

والدليل الثاني لذلك هو أن نوح زرع الكرمة بعد أن نزل من المركب ومن المعروف أن أشهر النبيذ هو من انتاج حقول أرمنيا واعترف المؤرخون

بهذه الشهرة وكان القواد الرومان يعودون الى بلادهم حاملين من أرمنيا الكرمة لزرعها فى بلادهم ٠

والدليل الثالث هي سلالة نوح التى تتعلق بأقدمية الارمن ٠ تقول التورات ان لنوح ثلاثة أولاد : سام ، شام ويافات ٠ يافات ولد كومير الذى ولد طوركوم ٠ وان هذا الاخير حسب المؤرخ الارمنى « خوريناتسى » هو أب لهايك الذى ولد « ارمين » ٠

لو سألت ارمنيا من أنت ؟ قال « هاى يم » أى حرفيا ابن هايك ٠ اما الاجانب فتقول عن الارمن انه « ارمينيان » : من سلالة ارمين ٠ واليك شجرة عائلة الارمن ٠

نوح ــ يافات ــ كومير ــ طوركوم ــ هايك ــ ارمين ٠ اذن ارمين هو حفيد لحفيد نوح ٠ والارمن يرون فى ارمين وهايك أصلهم ٠

٢ ــ تكوين الشعب الارمنى

لندع الخرافة والاساطير جنبا ونبحث عن أصل الارمن من خلال دراسات المؤرخين والحفريات ٠ تقول هذه الدراسات ان الشعب الارمنى ، قبل أن يعيش على أرضه قطن بلاد البلقان ٠ وفى القرن الثالث عشر قبل الميلاد نزل الى آسيا الصغرى بعد أن قهر الحثيين ٠

سلسلة من المعارك والحروب مع جيرانهم ، دعت الارمن الى حمل السلاح والى الاحتلال والغزوات فانخرطوا فى صفوف الفريجيين واحتلوا أورارادو التى كانت مملكة مزدهرة ٠ هذا الاحتلال الجديد أيقظ غيرة الاشوريين ٠ ومن ثم سيرى تاريخ الارمن على ممر الاجيال هذا الصراع بين سكان أورارادو أى الارمن وبين الاشوريين والفرس ٠

فى البداية كانت أورارادو دويلة لا تذكر لكنها على مر السنين وبعد احتلالها الجزء الشرقى من تركيا أى بين نهر الدجله وبحيرة فان امتدادا الى بحيرة أورميا (أنظر الى الخريطة) قوى نفوذها وازدهرت على الصعيد العمرانى وكانت دوشبا عاصمتها أرقى مدن الشرق آنذاك ٠

من استقرار الارمن فى أورارادو ، واختلاطهم مع السكان الاصليين ثم امتزاجهم مع شعوب الجنوب من أشوريين وكلدان نستطيع أن نعرف بالحقيقة أصل الشعب الارمنى ٠ فهو خليط من هذه الشعوب : ١ ــ القادمين من البلقان ٠ ٢ ــ المستوطنين فى أورارادو ٠ ٣ ــ الدخليين من أشوريين وكلدان ٠ ومن هذا الامتزاج تكونت أيضا اللغة الارمنية ٠

يقول المؤرخون ان أورارادو توصلت الى تكوين مملكة قوية وكان للملك الحكم المطلق ، له أعيانه (الوزراء) وله الطبقة الارستقراطية حيث يسوس معها قوانين الامة ٠

وكان الشعب يقسم الى ثلاث فئات : التجار والفلاحين والاسرى ٠ وعندما تطورت وكبرت احتاج الملك الى تقسيمها اداريا وجعل ملكا صغيرا يحكم كل دويلة ٠ هذا التقسيم الادارى سبب النعرات والمشاكل وقلما نجد ملكا صغيرا لم يتحالف مع جاره للاحاطة بحكم الملك الشرعى . وينتهز أيه فرصة للغزوات وجمع الثروات والأسرى ٠ حيث لكل ملك جيشه وفرسانه ٠

٣ ـ جغرافية أرمينيا

أ ـ الجغرافيا السياسية :

تقع أرمينيا شرق تركيا شمال ايران ويحدها غربا الاتحاد السوفيتى وغربا اذربيجان ٠ واليوم تكون ارمينيا احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى الست عشر ٠ ارمينيا فى التاريخ القريب لم تكن ما هى الان فقد سلخت منها مناطق عديدة شرقا وغربا وجنوبا وأصبحت مساحتها ٣٢ ألف كلم مربع بعد أن كانت تحتل مساحة تصل حدودها الى منابع الدجلة والفرات ٠ وسنعرف فى الصفحات المقبلة تاريخ هذا التفتت الحديث ٠



الشعوب القديمة فى الشرق الاوسط

ب ـ الجغرافيا الطبيعية :

تتكون أرمينيا فى سلسلة جبال تصل الى علو ٥١٥٦ مترا (جبل ارارات المكون من قمتين) • ثم هناك جبل اراكادز فى شمال ارمينيا وله اربعة قمم تعلو ٤١٠٠ مترا عن سطح البحر • وهناك جبال سيبان فى غرب ارمينيا بالقرب من بحيرة فان •

وعلى أقدام هذه الجبال الشاهقة تجرى عدة أنهار تسقى سهول ارمينيا وبلاد الاناضول • وأكبر هذه الانهر الفرات ٢٨٠٠ كلم الذى ينبع فى شمال الاناضول (ارمينيا سابقا) ويقطع المسافة ما بين تركيا وجنوب العراق ويصب فى شط العرب بعد اتحاده مع نهر الدجلة • ومن أهم الانهر التى تصب فى الفرات هو نهر ارادزانى الذى ينبع على أقدام جبل ارارات •

ولكن النهر الارمنى المشهور هو اراكس • ينبع فى شمال ارمينيا ويمر فى سهول ارارات (اراردیان تاشد) ويصب فى نهر كور قبل أن ينتهى فى بحر قزوين • ومن الانهر المشهورة نهرى اخوريان وهرازتان • وجميع هذه الانهر والجبال لها مكانها فى قلب الارمنى حيث دخلت فى فن الرسم وفى الاغانى وفى الشعر • حيث أصبح ، مثلا ، جبل ارارات ، شعار الارمن وهو يرمز الى خلودهم وعظمتهم وجبروتهم •

وفى ارمينيا أيضا ثلاث بحيرات (ارمينيا القديمة) • ولم نتكلم سوى عن بحيرة سيفان التى تعلو ١٩٢٥ مترا عن سطح البحر وتكون الثروة المائية فى ارمينيا وتولد منها قوة كهربائية ضخمة وتعيش فيها الاسماك وأشهرها اشخان تسوك أى السمك الامير وان هناك ثروة حيوانية من الدواجن •

أما من ناحية الطقس فالشتاء فى ارمينيا قارس وتكسو الثلوج معظم البلاد خلال ثلاثة أشهر أما الربيع فهو أجمل فصول السنة كما وان خريف ارمينيا مشهور باعتدال الجو فيه وبجمال غاباته الحمراء •

وفى ارمينيا سهول واسعة ترتوى من الانهر وتنتج الفاكهة والخضار • وأهم محصولات ارمينيا الكرمة •

٤ ـ اللغة الارمنية :

اللغة الارمنية هى من لغات الهندو أوروبية ، مزيج من الفارسى واليونانى والارامى • وهى من أقدم اللغات فى العالم حصل لها تطور كما حصل لباقى اللغات • وتقسم اللغة الى قسمين : الارمنى النحوى (كرابار) لغة الارمن لغاية القرن الثامن عشر والارمنى العادى بلهجتين ، الاولى أرمنية شرقية (سكان ارمينيا والاتحاد السوفيتي وايران) وارمنية غربية درجت فى اسطمبول وامتدت الى جميع الارمن الساكنين فى العالم •

الأبجدّية الارمنيّة

Ա	آيب	Ayp = a	Ն	نو	Nou = N
Բ	بين	Pen = p	Շ	شا	Cha =
Գ	كيم	Kim = k	Ո	فو	Vo = v
Դ	تا	Ta = t	Չ	تشا	Tcha =
Ե	يتش	Yetch = yé	Պ	ب	Bé = B
Զ	ظا	Za = z			
Է	اي	E = é	Ջ	تشي	Tché =
Ը	اط	Et = e	Ռ	را	Ra = R
Թ	تو	To = t	Ս	ث	Cé = s
Ժ	جي	G = g	Վ	فيف	Véve = v
Ի	ايني	Ini = i	Տ	ديون	Dune = D
Լ	لون	Lune = l	Ր	ري	Ré = R
Խ	خي	Khe =	Ց	تسو	Tso =
Ծ	تزا	Tza	Ւ	هيون	Hioun
Կ	غين	Guène = g	Փ	بيور	Piour = p
Հ	هو	Ho = h	Ք	كي	Ké = K
Ձ	تسا	Tsa =			
Ղ	غت	Guath =			
Ճ	دجي	Djé	Եւ	يف	Yève
Մ	مين	Men = M	Օ	او	O = o
Յ	هي	Hi = h	Ֆ	ف	Fé = f

واللغة الارمنية ، خصوصا القديمة أي النحوي ، تتمتع بتركيب متين تستطيع أن تعطي لاي معنى أسلوبا واضحا وأنيقا • فترجمة الكتاب المقدس في القرن الخامس دعيت ملكة الترجمات • واللغة الارمنية سهلة رغم ان لها ٣٩ حرفا وقواعدها منطقية ؛ تتميز عن سائر اللغات بعدم وجود المؤنث والمذكر فيها • فقاعدة الجمع مثلا هي واحدة فقط أما من حيث النطق ، فاللغة الارمنية ليس لديها من الاحرف الحلقية (خ ـ ع ـ ق) الا الـ «خ» •

اللغة الارمنية ، كلغة الشعب قديمة جدا ، أما الابجدية فهي وليدة القرن الخامس • واللذان اخترعا الا بجدية الارمنية هما القديس مسروب والبطريرك القديس ساهاك اللذان أخذا من اليونانية ١٤ حرفا تصلح لتركيب الجملة الارمنية وللنطق • فدرسا الابجدية الجديدة بعد أن فتحا المدارس لهذا الغرض وترجما بمعاونة الرهبان الكتب المقدسة فأصبحت للغة الارمنية حروفها بعد أن كانت تكتب باليونانية والسريانية •

والقرن الخامس الذي شهد النهضة الثقافية في ارمينيا دعي « العصر الذهبي » في الوقت الذي كانت دول أوروبا باستثناء روما وأثينا ، في ظلام الجهل !

٥ ـ الشخصية الارمنية :

الارمني اجمالا متوسط القامة ، بشراه تميل الى الاسمرار ، شعر رأسه كثيف ، عيناه عسليتان غامقتان ، أنفه بشكل منقار ، واسع الجبين ، عصبي المزاج ويتمتع بصحة جيدة •

ومن عيوب الارمني ، انه منكمش على نفسه ، لا ثقة له بالغير ، عصبي عنيد وحقود • وهذه العيوب أتت لاسباب كثيرة ، أهمها الطغيان والحروب • فالارمني منذ ٢٠٠٠ سنة لم يشهد في تاريخه ٥٠ سنة سلم متتالية • دائما في حرب مع جيرانه ، يخاف مكرهم ويهاب من خيانتهم وحقدهم • لذا فالارمني معزول عن الغير لا يميل اليه الا بعد أن يختبره ويعاشره • ويقال عن الارمني انه متعصب لقوميته • وهذا التعصب أيضا ناتج عن تعلقه بلغته وتاريخه وقوميته بعد أن كانت كل حياته حروبا عشواء في سبيلها ، اهرق فيها الدم وبذل ما لديه من جهد •

ومن محاسن الارمني انه مخلص • والكثير يرغبون في التعاون معه • وللارمني ميزة أخرى هي حبه للعمل، لا يمد يده لاحد، لا ينتظر شفقة الغير، كريم في عطائه ، صبور في محنته ، يحب القناعة كفضيلة لا كأسلوب حياة اذ يهوى الطموح والتقدم ..

الارمني في طبيعته محافظ ، يفضل الاستماع الى الاغاني الشعبية

القـــديمة من أن يذهب الى معرض للازياء مثلا • متدين ولو أن تدينـــه يصطبغ بالسطحية أحيانا وبالطـابع الوطني عامة • فكل شيء ارمني مقدس لديه ، يحـافظ عليه حفظـــا عـــلى شخصيته •

والارمني سريع الخاطر ، يهاب من الخبث ويكرهه • في حيـــاته يزاول جميع المهن ، من أحقرها الى أسماها • يتـــوق أكثر الى التعليـــم المهني من التعليم الجـــامعي • يتمتـــع بذكاء فريد ، غير ان ذكاءه لم يستعمله في الحقل السياسي والدبلوماسي• الارمني لم يكن أبدا سياسيا . يكره التجمعات والمحالفات ويعتقد أن انزواءه وعمله منفردا في سبيل تحقيـــق أهـــداف شخصية أكبر وسيلة للبقاء • جهله للسياسة تجعله سهل الانحيـــاز الى مختلف التيارات •

القسم الثانى :

الأرمن شعب مستقل فى دولة كبرى

١ ـ ما قبل اسكندر الاكبر :

وقعت الدولة الارمنية التى كانت قد تكونت بعدقهر الحتيين تحت وطأة الامبراطورية الميدية الحاكمة فى بلادايران فى القرن الرابع قبل الميلاد • ولكن هذه الامبراطورية هوت بدورها أمام نزوات الامبراطور سيروس مؤسس الدولة الفارسية التى اجتاحت آسيا الصغرى من ايران الى شمال بلاد ما بين النهرين • واليوم يعتبر شاه ايران الحالى من سلالة سيروس واحتفلت ايران أخيرا بذكرى تأسيس الامبراطورية الفارسية • وعلى أيام الملك داريوس شهد العالم ازدهارا مرموقا • ولا ننسى ان اسرائيل فى هذا العهد رأت معظم وأشهر أنبيائها، والصين تنورت بنور بوذا والهند بكونفوشيوس •

ويشهد التاريخ ان الارمن كانوا من أعنف المقاتلين ، فقاوموا سيروس ومن بعده داريوس أشد المقاومة ، الا ان هذين الملكين ، بعد اجتياحهما الدولة الارمنية اضطرا لاعطاء الارمن الاستقلال الذاتى • كما ويشهد التاريخ ان الارمن خصوصا والبلاد الخاضعة للفرس عامة تمتعت بحضارة ورقى فى البناء وفى فن الحروب •

٢ ـ اسكندر الكبير :

طموح الامبراطورية الفارسية لم يقتصر على الشرق الاوسط • سعى داريوس للسيطرة على اليونان ولكن أماله تبددت وتشتت قوته أمام القائد الشاب اسكندر الاكبر • على رأس جيش جبار ومنظم ، زحف الاسكندر سنة ٣٣٤ قبل الميلاد على معقل داريوس وقهر لاول مرة سيد الشرق ونجح القائد اليونانى فى السيطرة على الشرق كله وعلى ارمينيا •

وربما كان للارمن النصيب الاكبر والفعال من جراء هذه الغزوات حيث دخلت الثقافة اليونانية بلاد الارمن وانتشرت وكان لها التأثير الكبير على الفكر والنهضة هناك •

ولكن اسكندر الكبير مات شابا فقسمت امبراطوريته الى ثلاثة أقسام وكان الشرق من نصيب سلوقس • وفى سنة ٢٢٢ قبل الميلاد اعتلى عرش الامبراطورية السلوقية (نسبة لسلوقس) الملك انطيوخس الثالث الذى اتخذ الغزو سياسة له فحارب جميع جيرانه واستطاع أن يحتل ارمينيا الصغرى والفاصل بينهما نهر الفرات •

٣ ـ ديكران الثانى أعظم ملك فى تاريخ الارمن :

من ضمن الملوك التي شقت عصا الطاعة وحاربت الغزاة ، دكران الاول ملك ارمينيا• ولكن جيوش انطيوخس هزمته وأسرت العائلة المالكة وابنه ديكران الثانى ولى العهد الذى أعطي البارت (شعب سكن شمال ارمينيا) قسما من جنوب ارمينيا كفدية لحريته • وفى سنة ٩٥ قبل الميلاد اعتلى عرش أبيه وتزوج من كليوبترا ابنة متريدات الملك البنطى (سكان شرق تركيا) فتحالف معه وخطط لغزو الشرق بأكمله •

وسرعان ما أخذ فى يده زمام الحكم ، حتى باشر بعمليات التطهير • ففى حروب سريعة وقصيرة استولى جنوبا على بلاد البارت ثم على شمال العراق ومن ثم على بلاد ما بين النهرين • وبعد ذلك اذعن لحكمه بلاد القوقاس شمالا قبل أن ينزل الى انطاكيا وسوريا • كان دكران الثانى محبا للفن ويتمتع بجمال طبيعي وذكاء مرهف • أحب الثقافة اليونانية ـ الرومانية وكان يتكلم اللغة اليونانية بطلاقة • ومع هذه الصفات الحميدة ، كان لدكران الثانى طبع اسيوى تميز به معظم الطغاة ، اذ كان حقودا وقاسيا حتى تجاه أولاده حيث سقط البعض منهم بسيفه •

نهج دكران الثانى اسلوب أجداده خصوصا الملك اردشيس فى تنمية وتقوية الجبهة الداخلية ، فحث على تقوية الجيش ، مرن الشباب على حمل السلاح ، بنى القلاع وضم لصولجانه جميع الملوك الصغيرة فأصبح بعد زمن قليل ملك الملوك •

لم يكتف دكران الثانى بغزواته فى بلاد الشرق الاوسط ، فحول أنظاره الى روما • وأول شرارة الحرب أعطاها متريدات ملك البنطس ، أب امرأته وحليفه الذى قتل مئة ألف رومانى •

لم تسكت روما لهذه المجزرة ، فأرسلت القائد لوكوللس لاخضاعه• فاستعان ملك البنطس بدكران الثانى الذى شن على الرومان حربا غوغاء على ضفاف نهر الفرات وقهره بعد أن خسر معظم قواده • ولكن روما لم تقبل هذا التحدى، فأرسلت بومبيوس أشهر قوادها لمحاربة ملك ارمينيا • ولكن دكران الثانى بسبب تقدم سنه (٨٠ سنة) وخلافاته مع أولاده ، قبل شروط القائد الرومانى ، فتنحى عن سيطرته وقبل دفع الضريبة لروما وأبرم اتفاقية السلام وتعهد أن تكون ارمينيا حليفة روما • مات دكران الثانى سنة ٥٥ قبل الميلاد •

٤ ـ ارمينيا بعد دكران الثانى :

بعد وفاة دكران الثانى حل مكانه ابنه اردفازت الثانى · يقول المؤرخون ان هذا الملك كان على مستوى المسؤلية لكن الحظ لم يحالفه · فمال أولا الى الفرس الذين ضغطوا عليه لينحالف معهم ، فزوجوه من فارسية ، فاضطر أن يتخلى عن روما ·

وفى سنة ٣٦ قبل الميلاد شنت روما حربا على الفرس ولكن الارمن بتحالفهم الجديد قهروا روما وتراجع قائدهم مهزوما الى أن أرسلت القائد انطونيو ليثأر لسلفه ولكن انطونيو خسر المعركة وهرب الى مصر وحظى بعناية الملكة كليوبترا حيث اشتهر بغرامياته معها ·

واستدعى انطونيو خدعة ملك ارمينيا الى مصر وسجنه · فأرسلت روما اغسطس (الذى أصبح قيصرا فيما بعد) لاذعان اسطول كليوبترا وقهر انطونيو · فتسممت الملكة كليوبترا بعد أن هرب انطونيو الذى قتل الملك اردفاست حيث اعتبره سببا للهزيمة ·

بعد وفاة الملك اردفاست اجتاحت الفوضى بلاد الارمن فحكمها الرومان الى أن برزت السلالة الارشاكونية التى حكمت ارمينيا أربعمائة سنة ·

القسم الثالث :

الأرمن أول دولة مسيحية فى العالم

١ ـ السلالة الارشاكونية :

من سنة ٢ الى ٥٣ بعد الميلاد كانت روما تعين ملوكا على عرش ارمينيا مما جعل الارمن يتنافرون ، فساد الفسادوعمت الاضطرابات فتحالف الارمن مع الفرس (سلالة البارت) ووضعوا تريداد الاول ملكا لارمينيا وهو من سلالة الارشاكونية من أصل بارتي • وبالرغم من ذلك فقد ذهب العاهل الجديد الى روما ليكلل هنساك ، وأتى منها بالمهندسين ليعمر عاصمته الجديدة اردشاد •

ولكن فى سنة ٢٢٤ ميلاديا طرأحدث هام فى ارمينيا • ففى بلاد الفرس طردت سلالة الساسانيين (مجوس) سلالة البارت واحتلت زمام الحكم مكانهم • ومن البديهى اعتبرت سلالة الساسانيين ، حكام الفرس الجدد ، ملك ارمينيا عدوا لها لانه ارشاكونى من سلالة البارتيين •

ومن جراء الاضطهادات ضد البرتيين ، لجأ الامير اناك الى أرمينيا ولقي الحماية عند الملك تريدادالثانى . لكن أناك اغتال الملك ، فأمر الديوان الملكى بقتله وعائلته فلم ينج من هذه المذبحة سوى غريغوريوس ابن أناك الذى هرب الى قيصرية •

وسادت الفتن بعد اغتيال الملك ورأى الفرس ان الفرصة ثمينة لغزو الارمن ، فاجتاحوا ارمينيا وفرضوا سيطرتهم عليها • فخاف أعيان الدولة على مصير تريداد الثالث ، فأرسلوه الى روما ، ليخلف يوما أباه على عرش ارمينيا اذ لم يبقى من سلالة الارشاكونية سواه •

فلو استثنينا تريداد الثالث ، لرأينا أن معظم ملوك السلالة الارشاكونية لم يتمتعوا بالاخلاص وحسن السيرة . ففي أيامهم بالرغم من أن ارمينيا شهدت أحداث مهمة فى تاريخها كاعتناقها الدين المسيحى

واختراع الابجدية الارمنية ، غير ان ثمة حروب متتالية أضعفت الدولة وجلبت على الشعب الكوارث والمشقات . فاستنا منها الوزراء (نخارار : كل وزير له عشيرته وسلالته ويتمتع بحريته في قلاعه) وقرروا الغاء الملكية وطلبوا من الفرس الساسانين أن يضعوا حاكما فارسيا على ارمينيا يتعاونون معه . ففي سنة ٤٣٠ تنحى ارداشير آخر ملك من سلالة الارشاكونية .

٢ ـ المسيحية قبل غريغوريوس المنور

تقول التقاليد الارمنية ان الرسولين تداوس وبرتلماوس ، بعد صعود المسيح الى السماء وحلول الروح القدس ، أو بالاحرى بعد مجمع أورشليم ، ذهبا الى ارمينيا ليبشرا تعاليم المسيح هناك .

كان هذا تقليدا عاريا عن أية حقيقة تاريخية ذكرتها صفحات المؤرخين آنذاك ، اذ لم نجد نصا يثبت هذا لا عند الاباء اليونانيين ولا عند المؤرخين المعاصرين . وأول مرة ذكر ذهاب هذين القديسين الى ارمينيا ، كانت في القرن السابع وبعدها شاعت هذه القصة في ارمينيا وبما انه تقليد كنسي ، لا نستطيع قبوله أو رفضه كحقيقة تاريخية .

ثم هناك قصة أخرى تقول ان ابكار ملك أورفا (الارمني ؟) قد بعث برسالة الى المسيح على يد مرسلين يطلب بها الشفاء من البرص ، وان السيد المسيح أوفد القديس الرسول تداوس الذي شفاه وعمده .

ومن البديهي ان المسيحية دخلت بلاد الارمن منذ السنوات الميلادية الاولى عن طريق السريان . ويقال ان الرسل قد رسموا كهنة ومطارنة في أورفا وقيصرية وان هناك شهداء ارمن قتلوا من أجل الدين المسيحي وأهمهم القديسة سانتوخد . لكن الديانة المسيحية كانت محرمة واقتصرت ممارستها على قلة التجأت الى الدهاليز خشية الوقوع في أيدي السفاحين .

٣ ـ الملك تريداد الثالث (٢٨٧ ـ ٣٣٧) .

احتل الفرس ، كما رأينا سابقا ، بلاد الارمن بعد قتل الملك خوسروف على يد الامير اناك ، واراد أن يتخلص من سلالة الارشاكونية فعمد على نفي جميع ورثائها . فنجا تريداد من هذه المذبحة وفر هاربا الى روما . وبعد أن تلقن اللغة اللاتينية واليونانية انخرط في جيش روما وخدم الامبراطور ثيوكليسيان وانتصر في معركة حاسمة ضد الالمان على نهر الدانوب مما جعلته يتمتع بشعبية كبيرة في المحيط الروماني .

وكان تريداد يوحي أمالا كبيرة بالنسبة لقهر الفرس ، كونه ارمينيا مضطهدا وذات خبرة في الحروب . لذا أعطى الامبراطور قسطنطين

لترىداد جيشا رومانيا لغزو ارمينيا . وعندما تقدم ترىداد على رأس الجيش الرومانى نحو ارمينيا ، كانت القلاع والحصون تقع أمامه ، ورأى كيف أن الفرس الساسانيون قد دمروا البلاد، فطردهم واحتل مواقعهم وطهر ارمينيا من سيطرتهم فدخل بلاده ملكا يحتل عرش أبيه .

لكن الفرس لم يقفوا مكتوفي الايدى علما بأن انتصارات ترىداد ستمهد غزوا رومانيا أوسع ، فقرر نرسيه ملك الفرس سحق قوات الملك الارمنى ولكنه فشل أمام تحالف الارمن والرومان . هذا النصر مكن أواصر العلاقة الارمنية ـ الرومانية ، فعقد الجانبان معاهدة وفاق وتعامل بعد أن تراجع ملك الفرس عن مخططاته دون شروط فى مدينة نصيبين . فساد الامن فى أرجاء ارمينيا وشهدت الامة تقدما ملموسا فى العمران وتزوج الملك ترىداد من ابنة ملك الالان (شمال ارمينيا) وكسب حليفا جديدا .

٤ ـ ارمينيا مسيحية حكومة وشعبا : القديس غريغوريوس المنور

يعتبر ترىداد الثالث من أقدر ملوك ارمينيا كفاءة . مثقف ، بارع فى الامور العسكرية ، ذو شخصية وبنية قوية ، زد على ذلك التدين وحبه العميق لشعبه . فكان يعتبر جميع انتصاراته هبة الآلهة ، لذا فكان يقدسهم ويحتفل بذكراهم ويقدم لهم الذبائح . ومن أشهر الالهة : اناهيد ، المجسدة بشكل فتاة جميلة ، كان لها معابد عديدة تقدم فيها القرابين وكان الملك ترىداد الثالث يهتم شخصيا باعيادها .

وعندما قفل ملك الارمن عائدا من روما ، مر بقيصرية (تركيا الوسطى) حيث كان يعيش فيها عدد كبير من الارمن الهاربين من السيطرة الفارسية . فاستعان بهم وكان من بينهم غريغوريوس (أو كريكور) بن اناك وكان مسيحيا .

أعجب الملك بكريكور دون أن يعلم انه ابن الذى قتل والده ، وطلب منه أن يصطحبه الى ارمينيا ، فلبى طلبه وعاد كريكور الى ارمينيا ليخدم البلاط الملكى . وكان كريكور من أنشط حاشية الملك لدرجة أن ترىداد الثالث طلب منه يوما أن يقدم الى الالاهة اناهيد البخور وأغصان الغار تمجيدا لاسمها . فرفض كريكور هذا الطلب معلنا انه مسيحى ، يأبى



القديس غريغوريوس المنور

الإذعان للاصنام • فحزن الملك ، واشتد غضبه لما علم ان والد كريكور قد قتل أباه الملك خوسروف ، فأمر بتعذيبه ، ثم بسجنه وأخيرا رماه في بئر عميق ليتخلص منه • لكن العناية الالهية خططت مصير الشعب الارمني في هذا البئر • عاش كريكور خمسة عشر عاما بين التعابين والحشرات دون أن يمس بأذى ، الى أن أنقذه الله وكان خروجه من البئر نصرا جديدا •

وفي هذه الظروف مرت المسيحية بأوقات عصيبة • أعلن ترايانوس امبراطور روما العداء على المسيحيين، باضطهادهم وقتلهم ورميهم أمام الاسود ، فهرب من روما ثلاثون فتاة مع القديسة هريبسيمي اللواتي التجأنا الى ارمينيا • علم الملك تريداد الثالث بوجودهن فأمر بحضور هريبسيمي الى القصر •

كانت في نية الملك امتلاك هذه الفتاة الجميلة ، لكنها أبت جميع عروضه ، ولما حاول الملك السيطرة عليها بالقوة ، دفعته وخرجت من القصر هاربة • فأمر بقطع رؤوس الفتيات بعد أن جرحت هريبسيمي كرامة الملك • فعاقبه الله لهذه الجريمة ، أصيب بداء غريب ، فترك القصر وذهب الى الغابات بعد أن أصبح كالحيوان •

لكن العناية الالهية ، كما قلنا ، كانت قد مهدت الطريق الى معرفة النور من خلال ظلام البئر ، فألهمت أخت الملك أن شفاء أخيها لم يأت الا على يد كريكور لكن من يؤمن بمثل هذا الخبر ؟ فتكررت الرؤيا الى أن اضطرت الاميرة بالذهاب الى بئر خورفيراب لتبحث عن كريكور • فكان اعجابها كبيرا لما رأته في قيد الحياة وطلبت منه شفاء أخيها •

ففي سنة ٣٠١ وبعد الاعجوبة ، اعتنق الملك تريداد وامرأته وحاشيته والوزراء الدين المسيحي ، ثم أصدر مرسوما ملكيا بالغاء عبادة الاصنام وبهدم هياكلها ، ثم طلب من كريكور أن يذهب الى قيصريه في كبادوكيا لينال الرسامة الكهنوتية والاسقفية ويعين من السلطة الدينية هناك جثليقا (بطريركا) للارمن • فذهب الى هناك ومنحه الاسقف الرسامة بشرط أن جميع رؤساء الارمن الدينيين سيخضعون لسلطة قيصرية الروحية والشرعية •

عاد كريكور من هناك وعمد لدعم المسيحية في أرجاء المملكة ، فأسس التعليم المسيحي ولكن هذا الدأب الثابر لقى الكثير من العقبات ، فكانت هناك مواجهة عنيفة من طرف عباد الاصنام ، غير ان الملك تغلب عليهم وأعطى أرزاقهم للكنيسة الجديدة •

توفي القديس غريغوريوس بعد أن استقال من منصبه وانزوائه في مغارة على سفح جبل ، رآه الرعاة في جوف شجرة وقد أسلم الروح ، كما توفي الملك تريداد الثالث برائحة القداسة بعد أن حكم البلاد زهاء ثلاثين عاما •

القسم الرابع :

أفارايير : ملحمة كتبت بالدم

١ ـ سلالة الارشاكونية ونهايتهم

قلنا سابقا ان السلالة الارشاكونية لم تعط الامـة الارمنيـة ما كانت تتوقعها منها • بعـد موت تريدادا ثالث اعتلى العرش ابنـه خوسروف (٣٣٧ ـ ٣٤٢) فلم يكن بمستوى أبيه وتجرأ بقتل القديس ارستاكيس ابن القـديس غريغوريوس المنـور (كريكور) وفى ايامه عاد الفرس الى تحقيق مطامعهم فى ارمينيا ولكـن الملك خوسروف صد هجماتهم بمعونة البزنطيين وخلفه ابنه ديران (٣٤٢ ـ ٣٥٠) الذى لطخ يده بدم القديس هوسيك بطريرك الكنيسة الارمنيـة وارتمى فى أحضان الفرس الـذين أسروه خدعة فى قلعـة انهوش ثم قتلوه • فأعتلى عرش المملكة ابنـه ارشاك الثانى (٣٥٠ ـ ٣٦٧) ففى بداية عهده اضطر أن يسلك سياسة العنف حيث كان الـوزراء (بالمعنى الاقطاعى) يتآمرون عـلى العـرش بتحالفهم مع الفرس وآكبر مثل لهذا التآمر أعطـاه فاهـان ماميكونيان وميروجان اردزونى اللذان باعا امتهما لطموح شخصية • لذا كانت سياسة الملك ارشاك الثانى حساسة عـلى الصعيدين الداخلى = قمع التـآمر والخارجى = ارضاء بزنطيه وبـلاد الفرس • فحل المشكلة الاولى وبنى مدينة دعيت باسمه ، وضع فيهـا جميع المجرمين ، أما المشكلة الثانية

فكانت ولابد أن تعرقل طموحه فى بناء مملكة قوية برضـاء القـوتين العدوتين : بزنطية ودسبوند (عاصمة الفرس) • ولعدم استطاعة الصيف والشتاء أن يصيفا على سطح واحد ، اختار الملك ارشاك الحليف الالد ولكن الاقرب مسافة ، أى الفرس ، فذهب بنفسه اليهم ومد يد التعاون لشابوه ملك الفرس •

تخيل للملك ارشـاك إن بهـذا التحالف رقد هادئا على السنام ولم يعرف ان المطرقة ستأتيه من فـوق ولابد من ضربتهـا • هجمت عليـه

بزنطية بجيشها الجبار ،فاستغربت لما رأت فيه حليفا لا عـدوا • فتـابعت سيرها نحو الفـرس ولكـن سقط قائدها الملك يوليـانوس المعـروف بالجاحد على أبواب دسبوند ، فتقهقر الجيش الرومانى بعد أن كان قد قطع الاف الاميـال • فتبلورت سياسة الفرس تجاه الارمن وعرفوا الخـدعة ولكن وقعوا معاهدة صلح مع الرومان ربمـا تاتى الفرصـة يسـتطعون الاستيلاء على ارمينيا بعد غيابهم •

لعدم تضلع الارمن فى السياسة ،ذهب الملك ارشاك الثانى ضحية المكر الفارسى ، فبعد ثلاث وعشرين موقعة حربية ، اسـتدعى الى دسـبوند ، فذهب الملك وحاشيته ليعقد معاهدة صلح ، لكن الملك شابوه قبض عليـه وسجنه • وبعد أشهر قليلة استدعاه الملك ثانية وأخرجه من السجن ليرى صديقا له قد أنقذ حياة عاهل الفرس فى حرب مع سكان شمال القوقاس • فلما رأى ارشاك الثانى صديقه لاخر مرة ، أخذ سكينا وقام من أمام مائدة الوليمة قائلا : « يا للاسف ، هكذا كانت نهايتك » ؟ ثم انتحر •

بعد موت ارشاك حل مكانه ابنه **باب** فى ظروف قاسـية حيث كانت الفوضى تعم أرجاء ارمينيا • وأول ماسعى اليه الملك الجديد كان استدعاء القديس نرسيس حفيد لحفيد القديس غريغوريوس المنـور ليرأس الكنيسة الارمنية ، ثم احتل معابد الاصـنام التى كانت قد شيدت ابان غزوات العدو وذبح المجوس الفرس وارسل جلدهم للملك شابوه ، ثأرا لابيه • لكن الملك باب لم يكن أكثر حظا من والده • بعد معركة عنيفة ضد الفرس فى موقعة تسيران ، تراجع الملـك شابوه متقهقرا بعد أن سجل للتاريخ كلمته المشهورة : « ما أسـعد الملك الذى يقود مثل هذا الجيش » • وبعد عودة الملك المنتصر الى ارمينيا ، يقن أن عـداوة الفرس ليست السياسة السليمة لحفظ الامن، فأراد الاستقلال عن بزنطية فحول كرسى البطريركية من اشديشاد الى اتشميادزين ومنـع رسامة البطريرك فى كبادوكيا ليتحرر معنويا وشرعيا من بزنطية • ولكـن وقع فى نفس غلطة أبيه ، فذهب الى روما بعد أن أقنعه قائده بعدم قطـع العلاقات معهـا • وفى حفلة أقيمت احتفالا بقدومه قتل خيانة وهـو فى حالة السكر •

خاف فاليريوس ملك روما من أن الارمن قد يتجهوا الى الفرس بعـد مقتل ملكهم ، فعين الامير فراسـتاد (٣٧٤ ـ ٣٧٧) ملكا على ارمينيا ، ولكنه كان شابا تحتاجه الخبرة ، فلم يصغ لتعليمات القـائد موشـيغ ماميكونيان ، لا بل اعتبره شريكا فى مقتل والده • ولكن كان هذا الادعاء افتراء لان موشيغ كان يتمتع بصيت شريف ، كان قوى البنية ، بارعا فى الحروب وينتمى الى عائلـة عـرفت بتعلقها بالوطن • وفى حفلة أقيمت تكريما له ، قتله الحاسدون خدعة • لم يلبث الملـك فرسـتاد من أن ينسى جريمته حتى قام عليه الامراء من عائلة ماميكونيان طالبين محـاكمة الملك ؛ فهرب الى القسطنطينية •

أخذ الامير مانويل ماميكونيان زمام الحكم بيده ومنح الامة الاستقرار والسلام فأحبه الشعب وخشي حكمته حتى لقي حتفه سنة ٣٨٤ وعلى فراش الموت قال : « ليتني مت على حصاني في المعركة ! » وبموته فقد الارمن أشهر قواده وكان قد رفض الملوكية كونه من عائلة ماميكونيان وليس من سلالة الارشاكونية ٠

وبعد موته تزعزع الحكم وقام الوزراء ضد ولي العهد الملك ارشاك الثالث ٠

فقسمت ارمينيا الى نفوذين : ارمينيا الشرقية تحت سيطرة الفرس وارمينيا الغربية تحت لواء بزنطية وبهذا فقدت السلالة الارشاكونية سيطرتها بعد ٣٧٦ عاما وحكم البلاد مندوبون من روما ومن الفرس ٠

٢ ـ ما سبق معركة افاراير وأسبابها ٠

بعد أن اعتنقت الامة الارمنية الدين المسيحي على يد غريغوريوس المنور ، شنت المملكة الفارسية ، كما رأينا ، كل هجماتها لكي تحولهم الى عبادة الاصنام ٠ فابتدع ملوك الفرس الاساليب السلمية والعنف للوصول الى هذا الهدف علما ان ارمينيا بما انها مرتبطة بالغرب بالدين المسيحي، لا يمكن أن تبقى حليفتهم ٠ فكانت الحروب هدفا للوصول الى هذه الامنية ، ولكنها لم تكن جماعية وشاملة ٠ لذا بعد تقسيم ارمينيا الى شطرين : غربي تحت سيطرة بزنطية وشرقي يحكمه قائد فارسي ، أتى الملك يازكرد الثاني (٤٣٩ ـ ٤٥٧) بمشروع سلمي جديد بعد أن استشار رئيس أركانه والمجوس بتوجيه دعوة سلمية موجهة الى الوزراء الارمن وبعد أن وضع حاكما ارمينيا على المقاطعة الارمنية لكسب ثقة الارمن ، وهذا المشروع كان عرضا مفتوحا وعلنيا يدعو فيه الارمن لاعتناق عبادة الاصنام والتخلي عن المسيحية ٠ ففي سنة ٤٥٠ وجه الملك مرسومه وشرح فيه مشروعه ورأيه معلنا فيه عن ميزات عبادة الاصنام وعرض عليهم اعتناق الوثنية بالتفاهم أو بالاكراه ٠ فرد عليه أعيان الارمن بعد أن اجتمعوا بالبطريرك هوفسيب ، رافضين أي محاولة من هذا الشأن دون أن يمسوا الملك ، بالعكس ، كان ردهم في منتهى الاخلاص نحو السلطة المدنية٠

ولما استلم الملك الرد الرسمي ، غضب واستدعى جميع الوزراء والقواد وأعيان الارمن الى دسبوند عاصمته وعرض عليهم ثانية مشروعه ، ولما رأى قادة الارمن انهم قد وقعوا في فخه وان المحنة قد تصل الى جميع الارمن اختاروا الحل الوسط : انكار الدين المسيحي بعبادة الشمس أمام الملك ، ثم التآمر عليه وعلى أصنامه عندما يطلق سراحهم ويعودون الى ارمينيا ٠ لكن القواد الارمن انقسموا الى شطرين : قسم منه نكر الدين المسيحي فعلا وأصبح عميلا للفرس وعلى رأسهم القائد فاساك والقسم الثاني بزعامة فارتان قسم سرا محاربة الفرس والاستشهاد في سبيل

دينهم لو تطلب الامر ذلك • فعـاد القواد الارمن الى وطنهم ومعهم الجيش الفارسى والمجـوس ولكن سرعان ما شاع خبر اجحاد الارمن وعودتهم ، قامت الامة الارمنية بحالها : رجالا ونساء وتوجهوا الى الحدود واشتبكوا مع الفرس وكانت هناك مذبحة رهيبة قتل من الفرس والمجوس من قتـل وفر من فر • فتعانق فارتان مـع قواده وشعبه وأقسموا ثانية عـلى الحفاظ بالقيم الـدينية المسيحية والموت فى سبيل ايمـانهم بعد أن تابوا على نكرانهم •

٣ ـ معركة افارابر أو فارتاناتس

علم الملك يازكرد نبأ مقتل المجوس فاعلن الجهاد على الارمن • ولكـن القواد الارمن شعروا بدورهم ان هذه المذبحة ستكون أول شرارة لحـرب طاحنـة ، فاجتمعوا فى **شهابيفان** ، درسوا الموقف ، وزعوا القيادات ثم أمروا بالتعبئة وكـان بين المجتمعين القائد فاساك الذى أعلن انضـباطه وأشهر مسيحيته ولكـن كانت فى فكره ثمة مخطط للسيطرة على ارمينيا بعد أن يبيعها للفرس •

وبعد أن استغل غيـاب فارتان ، ذهب فاساك الى الملك يازكرد وأخبره بكل ما يجرى فى ارمينيا وأبلغـه مخططات الارمن • وفى الثـانى من شهر يونيو/حزيران سنة ٤٥١ هجم الفرس بقيـادة موشكان عـلى رأس جيش جبـار مؤلف من ثلاثمئة ألف جندى وعشرات الافيـال ودخلـوا ارمينيا ودكوا حصونهم عـلى سفح جبل ماكو (شمال ايران حاليـا) بالقرب من قـرية تدعى افارابر ، فلقوا أمامهم الجيش الارمنى المكون من ست وستين ألف جندى أرمنى •

وفى مطلع النهـار شنت الحرب وكانت دامية وقع خلالها وفى يـوم واحد خمسة آلاف جندى ربعهم من الارمن فقط • وفيما كانت الحـرب مشتعلة رأى القـائد فارتان الخائن فاساك واتجه نحـوه غير انه اختفى وراء الفيلة ولم تصله حربة فارتان • وفى آخر الليل تراجع الجيش الارمنى الى القلاع المجاورة بعـد أن سقط فارتان ومعظم القواد الارمن •

خسر الارمن الحرب لكن كسبوها معنويا اذ اقتنع ملك الفرس ان من المستحيل اذعـان الارمن لعبـادة الاصنام • فاستدعى فاساك وعلم من



القديس فارتان
بطل معركة افارابر

لقواد الارمن الاسرى انه كان سببا لتلك الحرب فأمر بسجنه ومات هناك بعد أن تألم من عقاب الضمير • ثم أمر بقتل الاكليروس وكان أشهرهم **القديس غيفونت** •

٤ ـ ما بعد افارایر

اعتلى عرش المملكة الفارسية بيروز الذى اتخذ مبادىء أبيه واراد بدوره السيطرة على الارمن ، لكن هذه المرة وجد أمامه قائدا فى مطلع شبابه ، متضلعا فى أساليب الحروب : **فاهان** ابن القائد همایاك الذى استشهد فى حرب افارایر • فى مطلع حكمه لم يتورط فى الحروب وكان قد اتخذ البطريرك هوفنان مانتاكونى **مرشدا** له ، وبعد أن عاد من دسبوند شق عصا الطاعة وأراد التخلص من نير الفرس نهائيا ففى أربعة حروب ، انتصر فيها كلها ، توصل الى ابرام مصالحة مع الفرس فى قرية نفارساك على الشروط التالية :

١ ـ حرية ممارسة الدين •

٢ ـ منع بناء معبد للاوثان فى ارمينيا •

٣ ـ لا مناصب للجاحدين •

٤ ـ لا عقاب من غير محاكمة •

ارتاح الارمن من الحروب بموجب هذه المعاهدة الى أن توفى فاهان سنة ٥١٠ وخلفه أخوه الاصغر فارت • وحتى سنة ٥٦٤ تمتع الارمن بسنوات سلم الى أن أرسل ملك الفرس واليا جديدا الى ارمينيا وكان هذا متعصبا يكره الارمن فاشعل الفتن حتى لقى حتفه على يد القائد فارتان الثانى ماميكونيان الذى مال الى الرومان ليتخلص من الفرس • فطلب خوسروف ملك الفرس رأس فارتان ولكن الرومان رفضوا وأشعلت الحرب بين الفرس والرومان • فمنى الملك خوسروف بخسارة فادحة واستولوا على خزينته وحاشيته وأسروا امرأته، فمات الملك خوسروف ألما على هذه الخسارة سنة ٥٧٨ •

تعاقب على زعامة الارمن فى ذلك الحين أمراء عائلة ماميكونيان وهم موشيغ وسمباد وكايل فاهان الى أن سقطت ارمينيا أمام الفتوحات العربية :

القسم الخامس:

أرمينيا والعرب

١ ـ **الفتوحات العربية في ارمينيا** غزا العرب ارمينيا لاول مرة سنة ٦٤٢ · بعد أن وقعت مملكة الفرس تحت السيطرة العربية ، (كان يحكم الامة العربية في ذلك الحين الخليفة عمر) أرسل معاوية القائد حبيب على رأس جيش يبلغ عدده ثمانية عشر ألفا لغزو آرمينيا · فدخل اليها بعد أن مر بنهر اراكس ، فلم يلق أية معارضة تذكر ، فجمع الاسرى وعندما حاول العودة ، حاربه الامير رشدوني وأعاد الاسرى ·

كانت الغزوات العربية ، في مطلعها ، للاستكشاف ، ولكن رأى العرب خيرات ارمينيا ، لفتوا نظرهم اليها وحاولوا سيطرتهم ولكن هذا الطموح كان ولابد أن يواجه غضب الروم · فأرسل ملكهم قسطنطين الثاني جيشا جبارا لقهر العرب ولكن لم يفعلوا شيئا يحرج العرب ، فعادوا الى بزنطية تاركين مصير ارمينيا في أيدي العرب ·

لكن العرب لم يعاملوا الارمن بالسؤ ولم يعرضوا عليهم الاسلام ، لا بل أعطوهم الاستقلال الذاتي بعد أن فرضوا عليهم الجزية · ولكن تصرفات بعض القواد العرب اجبرت الارمن على التمرد وبين هؤلاء المتمردين سمباد باكردوني الذي كان أسيرا في دمشق عاصمة الامويين ·· فعندما عاد الى وطن الام أعلن عصيانه وشتت وقتل عددا كبيرا من الجيش العربي مما أساء الى العلاقات الارمنية والعربية ·

وخوفا من أي تصادم ، ذهب البطريرك ساهاك الثالث الى دمشق لمقابلة الخليفة عبد الملك (٦٨٥ ـ ٧٠٥) لكن توفي في طريقه الى العاصمة الاموية وحل مكانه البطريرك هوفهان أوتسنيتسي (٧١٧ـ٧٢٨)، المشهور بثقافته وقداسة سيرته حتى انه عندما زار دمشق لفت اعجاب الخليفة عمر ·

حصلت ارمينيا على اتفاقية سلم، وعاشت في رفاهية تحت كنف الخلفاء

الامويين وكان العـــرب يحترمون عائلات الارمن الكبيرة وقوادها ورجال دينها • وتمتعت ارمينيـا باستقلال ذاتي وكانت العلاقة وطيــدة الى أن بلورت الاجواء في الامة العربية •

وحصل تغيير عميق في سياستها • وطرأ هذا التغير عندما حلت السلالة العباسية مكـــان الامـوية وانتقلت الخلافة من دمشق الى بغداد •

٢ ـ السلالة البكرادونية •

أ ـ بعـــد أن حكمت الســلالة الارشاكونية ٣٧٦ عاما وحلت محلها سلالة ماميكونيان فحكمت ارمينيـــا أكثر من ثلاثمئة عـــام ، حتى قويت شوكة العائلة البكرادونيــة وحظيت بتأييد الخلفاء العباسيين في بغداد ، الى أن الخليفين المتـــوكل (٨٤٧ ـ ٨٦١) والمستعين (٨٦١) أرســلا للامير البكرادوني اشـــود تأيدهما ولقبه المستعين أمير الامراء ثم عينــه ملكا على ارمينيا •

فارتسمت بوادر السلم على أفــق ارمينيا ولكن توفي الملك اشود وخلفه أخوه اباس الاول الذي حظي بدوره على تأييد العرب وأرسل له قائـــد القطاع الشمالي للامة العباسية تاجا واحصنة عربية كما وأرســل له لاون الارمني ملك بزنطية تاجـا وأقمشة مرصعة بالياقوت •

وبعد مراسيم التنصيب احتـــار الملك سمباد في اختيار حليفه • من الناحية الاولى : العرب وهم في ارمينيا كأمر واقع ومن النــاحية الثـــانية فيزنطية مســيحية وملكهـــا ارمني الاصل ولكن ثمــة مخـــاوف سببت للعــاهل الارمني مشـــاكل لقبولهم المجمع الخلقدوني والاصرار على وجود طبيعة واحدة في المسيح • لكن فضل الملك سمباد ابن العم على العدو ، مما أيقظ غضب العرب فهجموا عليه بقيادة ابشين الذي كان يطمح لبناء مملكة مستقلة عن بغداد • ولكن أخفق في مشاريعه بعد عدة محـــاولات الى ان استطاع أخ ابشين القائـد هوسوب أسر الملك ســمباد وســجنه وقتله فأستشهد الملك وخلفه ابنــــه اشود الثاني الملقب بالحديد •

ب ـ اشود الثاني (٩١٤ ـ ٩٣٠) انشغل في تصفية الاعداء سواء كانوا عربا أم أرمن وكان يريد أن يثأر لدم أبيه فطرد قواد العرب في ارمينيا ثم ذهب الى بيزنطية للاستعانة بملكها قسطنطين ، وهو أيضـــا من أصل ارمني •

بعد وفاة الملك خلفه ابنــه اباس الاول (٩٥٢ ـ ٩٣٠) ونصبه عــلى عرش ارمينيـــا البطريرك هوفـــانيس المؤرخ • ونرى في أواخر القرن الالف كيف سلالة البكرادونيــة تتعـــاهد بالسلام والاخوة مع بزنطية وكيف ان في هذا الوقت أيضا تعاقب عـــلى عرش بزنطية ملوك من أصل أرمني كقسطنطين السابع الذي عقد مـــع الملك اباس الاول معاهدة صلح •

توفى اباس الاول بعد أن نقل عاصمته من شاهابيغان الى كارس (تركيا الشرقية) وحل مكانه اشود الثالث الملقب بالطيب .

١ ـ اشود الثالث (٩٧٧ ـ ٩٥٢) وبناء أني .

يعتبر اشود الثالث من أحسن ملوك الارمن من حيث حسن السيرة ورحابة القلب والحرص على البناء . يقول عنه المؤرخ اسوغيك ، ان عندما مات الملك اشود ، لم يوجد في خزنته مال ، وقد كان يوزعه على الفقراء والمعوقين . تفاديا لغزوات العرب ولوجود العاصمة كارس بعيدة على محور المملكة ، شرع الملك اشود في بناء عاصمة جديدة بعيدة عن قبضة العرب ، ثم بنى فيها الجامعة ومقر البطريركية وعرفت العاصمة أني بمدينة « أنف كنيسة وكنيسة » .

وكما قلنا سابقا ، ضعفت السلالة العباسية فى بغداد من جراء التعاقب على الخلافة فكان حكام المملكة فى المقاطعات ينتهزون فرصة التآمر ومن هؤلاء الحكام ، حمدون أمير ماردين الذى طلب الضريبة من الملك اشود وكان ملك الارمن قد أعفى عنها وعندما أراد حمدون جمعها بالقوة قهره اشود الثالث وكسب عطف خليفة بغداد الذى لقبه بـ « شاه ارمين » .

لم يكن الحكام فقط من انتهزوا الفرص للتآمر ، بل امبراطور الروم أيضا شعر بأن الفرصة كبيرة لخوض معركة ضارية ضد العرب . ففى سنة ٩٧٤ بعد أن تخطى العقبات الطبيعية بين نهرى الدجلة والفرات ، وصل الامبراطور يوحنا (ارمنى الاصل) الى أبواب بغداد لكنها لم تستسلم كونها محصنة ، فقفل عائدا الى القسطنطينية . وبعد هذه الحرب عاش اشود ثلاث سنوات وتوفى سنة ٩٧٧ بعد أن بنى دير هاغبات المشهور .

ب ـ أنجب الملك اشود ثلاثة أولاد : سمباد الثانى ، كاكيك ، وكوركين ولكن لم يتفقوا أبدا . فحل سمباد الثانى محل أبيه وانشغل فى العمران حيث بنى سورا كبيرا واشتهرت ولايته بالاغتيالات والقتل . فخلفه أخوه كاكيك (٩٩٠ ـ ١٠٢٠) الذى يعتبر من أشهر ملوك السلالة البكرادونية من حيث الخبرة فى الحكم والثقافة . وبعد موته اختلف أولاده على الوراثة فجلس هوفانيس سمباد على عرش أبيه ولم نكن على مستوى المسؤلية فحاول أخوه الاستيلاء على العرش ولم يفلح . وعندما اشتدت ضراوة غزوات السلجوقين على ارمينيا ، اضطر البطريرك بطرس كيداتارس ان يعقد اتفاقية مع امبراطور بزنطية فاسيل ، وبموجبها سيحمى الامبراطور عرش ارمينيا مقابل الحصول عليه بعد وفاة الملك هوفانيس سمباد .

ج ـ استياء الشعب الارمنى من الوضع السياسى أدى الى تقهقر نفوذ السلطة فى أرمنيا . من ناحية صراع الاخوة على اعتلاء العرش ، ومن ناحية

ثانية ضغط العرب وبنزنطية لأرجاح كفتهم في امداد سيطرتهم على الارمني، اعطت النـــور الأخضر للخيـــانات والاغتيالات ٠

يقال ان القس كيراكوس باع عقد استسلام مدينة آني لميخـــائيل ملك الروم ، ذلك العقد الذى ابرم فـى طرابزوند حيث بموجبه سيدافـــع الروم عن الارمن ضد غزوات العـــرب مقابل اعطاء آني للروم والتخلى عن الحكم الارمني بعد وفاة العاهـــل هوفانيس سمباد ٠ بهذا العقـــد شطر الارمن الى قسمين : قسم موال لبيع مدينة آني وقسم آخر يرفض هـــذه الخيانة ٠ فكان من عملاء القسم الأول البطريرك بيدروس كيداتر تس والامير فست سركيس ، وفى الشطر الثانى الملك وحاشيته ٠ ولكن عندما مـــات الملك سنة ١٠٤٢، هجم ميخائيل الرابع ملك القسطنطينية بموجب العقد على ارمينيا مدعيا العرش والارزاق ٠ ففي أول هجمة قهر الارمن جيش الـــروم وعندما علم الملك ميخائيل هزيمة قواده أرسل جيشا مكونا من مئة ألف جندى ولكن دمره الارمن بقيادة فهرام ٠ وبعد هذا النصر احتفل سكان آنى بتتويج ملكهم الجديد كاكيك الثـــانى الذى اعتلى العرش وهو فى الثامن عشر من عمره ٠

٣ ـ استسلام آني وانهيار المملكة الارمنية :

يقال ان الملك كاكيك الثانى كـــان مضطلعا فى العلوم والآداب وسياسيا محنكا ٠ ذهب بعـــــد تنصيبه الى القسطنطينية لكسب ولاء الاباطـــرة هناك ٠ غير أن الروم لم ينسوا هزيمتهم فطلب ملك الروم الجديد قسطنطين التاسع (١٠٤٣ ـ ١٠٥٥) مفاتيح مدينة آني مدعيا انه سيد ارمينيا ٠ فحاول الملك كاكيك الثانى اقناع ملك الروم بالتخلى عن مشروعه وعـــرض عليه دفع الجزية ووضع عرشه تحت حماية الروم ٠ لكن قسطنطين التاسع تعند فى رأيه وطلب عرش ارمينيا ٠ ومن ثم بدأ ملك الارمن بتجهيز جيشه لمواجهة الروم ٠

ولكن خيانة فست سركيس نجحت بعد أن فشلت من انجازه أسلحـــة الروم ٠ اقنع فست سركيس الملك بالذهاب الى القسطنطينية والتفاوض هناك على مصير العرش ٠

فذهب الملك كاكيك الثانى بعد أن تخلى عن القائد فهرام فوقع فى مصيدة الروم وظل الارمن فى انتظاره علما أن امبراطور القسطنطينية قد قسم اليمين على الكتاب المقدس ووقع مرسومـــا بريشة وضعها فى دم المسيح يكفل بها صيانة عرش أرمينيا وحمايته ٠ ولكن الامور سارت عكس توقعها ٠ عـــلم الارمن ان ملكهم أسير الروم وان جيش بزنطية على أبواب آنى ٠ فهب الامن للدفاع عن مدينتهم ولم يشهد الروم دفاعا كهذا ولكن قوتهم كانت متفوقة، فدخلوا المدينة واحتلوها بعد مجزرة رهيبة ٠

فعلم ملك القسطنطينية بما حصل واستلم مفاتيح مدينة آني ورسالة من البطريرك وفست سركيس فاستدعى الملك كاكيك الاسير الى عرشه واقنعه

بالتخلي نهائيا عن عرش أرمينيا . رفض الملك هذا العرض ولكن عندما رأى ان ليس لديه غير مفر مضى ورقة التخلي عن العرش فاعطاه ملك القسطنطينية قصرا ووضعه تحت الرقابة الشديدة خشية من أن يهرب ويعود الى أرمينيا .

عاش الملك كاكيك الثانى أربع وثلاثين سنة فى المنفى وعندما دعى يوما الى مأدبة غذاء في قيصرية ، نادى متروبوليتها مرقص كلبه « ارمين ، ارمين » مما اغاظ الملك ، فقام وضربه حتى أرداه قتيلا . ولكن شنقه اثنان من سكان قيصرية ثأرا لموت المتروبوليت (١٠٧٩) .

لم يعلم ملك القسطنطينية انه بمحو المملكة الارمنية سهل القضاء على مملكته وفتح الطريق أمام غزوات السلجوقيين والاتراك . خسر ملك القسطنطينية حليفا منيعا يحرس حدوده الشرقية . فبعد أقل من أربعمئة سنة ، أنهارت بزنطية ومعها المملكة بأسرها أمام السلطان سليم . فلو كانت المملكة الارمنية قائمة لكان قد تغير مجرى التاريخ .

عمت الفوضى بلاد الارمن بعد أن سقط العرش فى أيدى الروم ، فتعرضت الأمة لغزوات السلجوقيين الذين زرعوا الدمار والارهاب . واقسى

هؤلاء الطغاة كان دوغريل بك السلجوقي الذى سيطر على شرق ارمينيا ودك حصونه على أبوابها مما شكل خطرا شديدا على السكان حيث هددهم بالابادة . ولكن الارمن قهروه أمام مدينة منزجرد . فانسحب دوغريل ووزع قوته فى ارمينيا واحاط مدينة آني دون أن يدخلها تاركا احتلالها لحفيده ألب ـ اصلان الذى سيطر عليها نهائيا بعد أن دمر الكنائس والقصور وقضى على حضارة من الصعب أن توجد مثلها فى يومنا هذا (٦ يونيو ١٠٦٤)

٤ ـ الادب الارمنى فى القرن العاشر :

أ ـ أدباء ما قبل القرن العاشر

من أشهر أدباء الارمن بعد العصر الذهبى هم البطريرك كوميداس الذى ألف لحنا من أشهر الترانيم فى الكنيسة الارمنية للقديسة هرمبسيمى . كما وان هناك انانيا شيراكاتسى عالم الرياضيات وسيبيوس المؤرخ ، وهوفهان أوتسنيتسى المشهور بمقالاته الدينية العقائدية ، ثم هناك ستيبان سونيتسى صاحب المواعظ ، وستيبان اسوغيك المؤرخ .

ب ـ القديس كريكور ناريكاتسى

بلا ريب يعتبر القديس كريكور ناريكاتسي (١٩٥١ ـ ١٠١٠) من أبرز الادباء في القرون التى سبقت العصر الفضى . كان كريكور ناسكا فى دير ناريك قرب بحيرة فان . كتب علاوة عن المواعظ والتفسير لبعض الكتب المقدسة ، ديوانه المشهور بـ «ناربك» عبارة عن تلامات وصلوات بطابع شاعرى ودينى عميق . مازال الى الآن يحتفظ بمكانه فى الادب الارمنى وهو أيضا من أشهر الكتب الدينية فى الكنيسة الارمنية .

القسم السادس :

كيليكيا

١ ـ جغرافية كيليكيا :

تقع كيليكيا شمال شرق البحر المتوسط على منعطف تركيا وسوريا عند خليج مرسين واسكندرونه · منذ القديم لم يسيطر على كيليكيا أي شعب وبقيت أرضا محايدة الى أن أصبحت سنة ١٠٨٠ كيليكيا الارمنية ·

تقسم كيليكيا الى ثلاثة أقسام :

١ ـ كيليكيا الساحلية وطولها ٣٠٠ كلم من انطاليا الى انطاكيا ·

٢ ـ كيليكيا الهضبية : سهول اضنا ·

٣ ـ كيليكيا الجبلية : جبال الامانوس وتاوروس ·

أربعة انهار تنعش وتروى أرض كيليكيا وأهمها سيحون (سيهان) وجيهون (جيهان) اللذان يمران في سهل اضنه الغنى بمحصولاته ، قبل أن يصبان في مدينة ترسس (مدينة القديس بولس) ·

٢ ـ السلالة الروبينية (روبينيانتس)

أ ـ الامير روبين (١٠٨٠ ـ ١٠٩٥)

بعد أن قهر اصلان جيوش الروم ، لجأ الارمن الى شواطيء كيليليا العامرة بالسكان وهم من التجار الذين كانوا يعيشون هناك منذ غزوات الملك دكران الكبير · فكانت مدن وقلاع كيليكيا شبه مستقلة لا ينقصها الا موحد فكان هذا الموحد الامير روبين مؤسس السلالة الروبينية الحاكمة ·

اكتفى الامير روبين بتوحيد صفوف الارمن وبثأر الملك كاكيك وبالدفاع عن ابناء قومه ضد السلجوقيين والروم · وعندما توفى سنة ١٠٩٥ كان قد وضع نواة لبناء مملكة عظيمة ·

ب ــ قسطنطين الأول (١٠٩٥ ــ ١١٠٠) وطوروس الأول (١١٠٠ ــ ١١٢٣)

بعد وفاة والده ، أخذ زمام الحكم ابنه قسطنطين الذى استرد القلاع من السلجوقيين والروم خصوصا قلعـــة فاهكا التى تحولت الى مركز السلالة الروبينية ·

خلف طوروس الاول اباه وكان من أشهر الامراء الارمن · لكن طوروس شعر ان لابد من النزول الى شواطىء كيليكيا لأنه بحاجة الى محصـــولات السهول والى الملاحة · فاحتل قلعة انارزبا ووصل الى البحر المتوسط ·

لكن هذا التقدم لم يعجب امراء العرب والاتراك والسلجوقيين فحاربوه واضطر الامير طـوروس للدفاع عن امارته الناشئة بالتحالفات مع جيرانه المسيحيين بعد احتلال الصليبيين بلاد الاناضول واسيا الصغرى · لكـــن الصليبيين خانوا عهودهم وحاربـــوا أمير الارمن بعد أن قدم لهم المساعدة باعطائهم العتاد والعناصر القوية فى جيشه خصوصا عندما دبت المجاعـة فى صفوفهم سنة ١٠٩٨ · تـــوفى سنة ١١٢٣ فى دير ترازارك الـــذى بناه وأصبح مقبرة امراء روبينيانتس·

جـ ــ لفون الاول (١١٢٣ ــ ١١٣٨) وطوروس الثانى (١١٤٢ ــ ١١٦٨)

خلف لفون الاول اخاه طوروس · وسرعان ما اعتلى العرش حتى بـدأ بتطهير قلاع ومـــدن كيليكيا الى أن استولى عليها نهائيا مما أغضب أمير انطاكيا الصليبى بمونت لكن لفـون استعان بامير حلب واستطاع قتـــل الامير الصليبى ·

لم تليق انتصارات الامـير لفـون الاول لبزنطيه واعتبر الامبراطـــور هوفهان كومنين كيليكيا وانطاكيـــا ملكه ، فشن هجوما عليها واسر الامير الارمنى وارسله الى بزنطيه بعـد أن دمر المدن والقلاع · مات الامير لفون فى السجن بعد أن تلقى نبأ وفاة ابنه روبين ·

هكذا هدمت آمال الارمنى الـــتى كلفت العرق والتعب زهاء ستين عاما· لكن طوروس الثانى استطاع الهروب من بزنطية بعد أن تزوج من امـــرأة غنية وورثها بعد وفاتها · وسرعـان ما انتشر خبر عودة الامير حتى قامت الامة تتكاتف حوله لتستعين القلاع من سيطرة الروم ، لكن كير ــ مانويل قيصر بزنطية اعطى أحد قواده جيشا قدره أثنى عشر ألف جندى لاخضاع الارمن وأسر أميرهم · لكن تحطمت مزاعم الروم على أبواب كيليكيا واندحر جيش قيصر بعد أن ترك أمام اسوارها الالاف من القتلى والجرحى · فحاول ثانية غزو كيليكيا بجيش أكبر وتعاقد مع أمـــراء الصليبين والسلجوقيين للاطاحة بالامارة الارمنية ، مما جعل طوروس الثانى يهرب الى الجبال حيث توفى هناك ·

ونريد القول هنا ان الصليبيين اثبتوا انهم قدموا الى الشرق لا حبا بالاراضي المقدسة بل لاطماع شخصية وعسكرية . لم يبخلوا بأي مجهود لسحق أية امارة مسيحية تنشأ في الشرق الادنى بالرغم من أن الارمن قدموا لهم شتى المساعدات .

د ـ الخلافات بين الاسر الارمنية

بعد أن توفي طوروس الثاني خلفه الامير مليه (١١٦٩ ـ ١١٧٤) الذى أشهر اسلامه في حلب وتحالف مع أمير قونيه وزحف بجيشه لقهر بزنطيه . وبعد عدة انتصارات عاد الى كيليليا وعرف حكمه بالارهاب والغدر . قتل سنة ١١٧٤ فخلفه روبين الثاني (١١٧٥ ـ ١١٨٧) . لكن احتد الخلاف بين الاسرتين الكبيرتين : الروبينية = تفضل الاستقلال الذاتي وعدم التعامل مع الروم . والاسرة الهيتومية = ترى أن لا مفر من التحالف مع الروم . أدى هذا الخلاف الى الانشقاقات والاغتيالات ، فتراجع الامير روبين الثاني واعطى زمام الحكم لاخيه لفون الكبير وتنسك في دير ترازارك حيث مات بشهرة القداسة .

٣ ـ الملك لفون الاكبر : قمة السلالة الروبينية :

بعدمرور مئة عام على انشاء الامارة الروبينية في كيليكيا ، سعى لفون الاكبر ، بعد أن جهز جيشه وبنى قلاعة ووحد صفوف أمته ، سعى لبناء مملكة قوية ولكن كان يجب عليه أن يأخذ التاج من احدى المملكات : السلجوقيين ، بزنطية ، الكرسي الرسولي ، الالمان . وبما أن العداوة معروفة للسلجوقيين وبزنطية ، أوفد الامير لفون الاكبر سفراءه الى بابا روما والى فريديرك قيصر الالمان . وكان الحظ قد ساعد الامير في الوصول الى هدفه حيث دعا بابا روما الى الحرب المقدسة لاسترجاع أورشليم من أيدي صلاح الدين الايوبي وتعاطف معه ملوك انجلترا وفرنسا والمانيا ، لكن الملك فريديرك غرق في النهر قبل أن يصل الى هدفه . فأرسل الامير لفون الاكبر سفراءه منجديد الى أوربا وأعرب لبابا روما عن أمله في انهاء الخلافات الكنسية بين روما والارمن ومن ألمع الاباء الذين دافعوا عن هذه الخطوة القديس نرسيس شنورهالي ونرسيس لامبروناتسي .

استقبل بابا روما سلستين وهنري السادس ملك الالمان سفراء الارمن وارسلوا معهم الهدايا والتيجان كما أوفد الملك هنري السادس المطران كونراد الذى توج في كنيسة القديسة صوفيا بمدينة ترسس ، الامير لفون ملكا على كيليكيا (٦ يناير ١١٩٨) فأرسل الملك لفون رسالة شكر الى البابا اينوسان الثالث الذى بدوره أرسل له قلادة الباليوم . وهذه القلادة الشرفية يأخذها بطاركة الارمن الكاثوليك من البابا الى يومنا هذا .
وسرعان ما اعتلى عرش كيليكيا عكف الملك لفون على الشؤون الادارية وعلى تقوية الجيش وطلب من الامراء واعيان الشعب التطوع في خدمة

العلم • ولما شعر انه قادر على فرض السيادة فى مملكته توجه الى انطاكيا لضمها الى عرشه وكانت انطاكية تخضع لسلالة الروبينية غير أن أخاه روبين راح ضحية الحاكم اللاتينى الصليبى •



الملك لفون الكبير

استطاع الملك لفون دخول انطاكية ووضع الامير روبين (أحد احفاده) على عرش امارتها غير أن الامير ريمونت الصليبى استعان بأمير قونيه عز الدين كيكاوز لاستعادة انطاكية من مملكة كيليكية لكن ملك كيليكا ، رغم تقدمه فى السن أوقف العدو واحتفظ بها •

توفى الملك لفون بعد أن ترك مملكة مزدهرة مساحتها أربعين ألف ك م •

٤ ـ السلالة الهيتومية •

أ ـ هيتوم الاول (١٢٢٤ ـ ١٢٦٩)

لم يترك الملك لفون الاكبر خلفا ذكرا بعد وفاته وكان له ابنة واحدة اسمها ايزابيل تزوجت لابن أمير انطاكية ، فيليب ، الذى عاش فى كيليكيا سنتين لكنه لم يتماشى مع العقلية الارمنية ولم يقتبس التقاليد ، وكان مائلا الى العقيدة اللاتينية والى تدعيم نفوذ انطاكيه على حساب الارمنى • فسرق كنوز الاديرة وأرسلها الى انطاكية ، فسجنه أمراء الارمن ومات فى السجن • فتأرملت ايزابيل لكن وصيها عرض عليها الزواج من ابنه هيتوم وكان عمره أربعة عشر عاما وهى فى الحادية عشر •

يقال ان بهذا الزواج تصالحت السلالة الروبينية مع الهيتومية وان ايزابيل كانت زوجة وأما وملكة مثالية ، كما وان الملك هيتوم قاد شعبه بحكمة وفطنة • وعندما كانت كيليكيا فى أوج مجدها ، كانت أرمينيا تعانى من الفقر والمجاعة والبؤس •

ب ـ التعاون بين الكنيسة والدولة

وصلت العلاقة بين الكنيسة والدولة التى رسخت أيام القديس غريغوريوس المنور (القرن الرابع) على التعاون البناء ، وصلت هذه العلاقة الى انتاج

مثمر في شتى المجالات . فكان الكاتوليكوس (بطريرك الارمن) بصلة وطيدة مع الحكام الزمنيين ، لا بل كان مرشدهم يدعم سياستهم ويبارك خطواتهم . وكانت الدولة تضمن حياتهم ورسالتهم وتقر تعاليمهم. ومن أبرز رجال الدين في هذا العصر هما : القديس نرسيس شنورهالي (١١٠٢ ـ ١١٧٣) والقديس نرسيس لمبروناتسي (١١٥٣ ـ ١١٩٩) اللذان اشتهرا بقداستهما وبعلمهما حيث نظما الطقس الارمني والادارة الكنسية وادخلها الالحان العذبة في المراسيم الدينية وعملا على تدعيم العلاقة بين الكنائس خصوصا مع كنيسة روما .

ج ـ هيتوم الاول والتتر .

بينما كانت كيليكيا تتمتع بالرفاهية والعمران هبت عواصف مدمرة في شرق آسيا اجتاحت الصين فتركستان فايران حتى وصلت الى اسيا الصغرى. وكانت هذه الرياح مجسدة بالتتر أو المغول . دمر جنكيز خان (١٢٠٦ـ ١٢٢٧) سمرقند ولكن لقي حتفه قبل أن يصل الى كيليليا . فرأى هيتوم أن لا مفر من سقوط مملكته تحت قبضة التتر ، ذهب خلسة الى عاصمتهم كاراكوروم بالقرب من بحيرة بايكال بعد ان قطع مسافة شاسعة استمرت أشهرا ، وتعاقد مع أمير التتر الجديد الذى استقبله بحفاوة واتخذه حليفا له . ثم عاد ثانية الى كيليكيا بعد نجاح هذا التخطيط حيث انقذ مملكته من الدمار .

لم يبق هذا الاتفاق حبرا على ورق . قام هولاغو التترى بن ماجوخان لشن حملته على آسيا الصغرى مع حليفه الجديد ملك تصرف هيتوم الاول نصف جيشه . تحت سيطرتهما ووصلا الى أبواب جراء هذا الانسحاب عزموا على لما سمع نبأ وفاة والده وترك تحت وحلفائهم الارمن ، فقتل طوروس علم العرب أن قوة الغزاة ضعفت من بيبرس . فحزن والدهما الملك هيثوم استرداد المدن من أيدى التتر
د ـ المماليك في ارمينيا : لفون ووقع لفون في قبضة السلطان معاهدة صلح مع السلطان المملوكي وترك المملكة لابنه الاسير ، بعد عقد أورشليم ، لكن هولاغو عاد الى بلاده ودخل الدير ومات فيه سنة ١٢٦٩ .

كيليكيا . فوقعت مدن حلب ودمشق الثاني (١٢٦٩ ـ ١٢٨٩) وهيتوم الثاني (١٢٨٩ ـ ١٣٠٥) .

حكم لفون الثاني مملكة كيليكيا في ظروف سيئة . بعد تفكك الامبراطورية التترية ، احتل المماليك (خدم السلطان في مصر) عرش صلاح الدين الايوبي وبقى مصير الشرق الاوسط بين أيديهم بعد أن قوي نفوذهم وزحفوا لاحتلال آسيا الصغرى . كان السلطان بيبرس أعنف المقاتلين وألد أعداء التتر والارمن . أعطى أميره قلاوون جيشا مكونا من أتراك وعرب ومصريين وتركمان وهجم على كيليكيا لاخضاعها وعندما استولى على ترسس ، حاصر العاصمة سيس دون أن يدخلها

فعاد الى مصر وفى طريقه استولى على امارات الصليبين وقلاعهم فى طرابلس وانطاكية • أراد السلطان بيبرس خوض معركة ثانية فزحف الى كيليكيا ولكن هذه المرة دحر الارمن بقيادة سمباد وبقال ان بيبرس قتل فى هذه الحرب ، ولكن خلفه السلطان منصور توصل الى النصر وقهر التتر وحلفاءهم الارمن بالقرب من مدينة حمص مما اضطر الارمن الى توقيع معاهدة صلح بشروط قاسية •

خلف اشرف السلطان منصور وكان هو أيضا مولعا بالحروب ، فسحق الصليبيين فى طرابلس ورأى أمامه أبواب كيليكيا مفتوحة لغزوها • وفى سنة ١٢٩٣ دك الحصار على قلعة هرومكلا المنيعة وأسر البطريرك اسطفان وعاد الى مصر بعد أن استولى على مصوغات الكنيسة • فهب الملك هيتوم الثانى الى الاستغاثة بالتتر وجدد معاهدة أجداده وتعاقد مع سلطانهم لدحر المماليك فى كيليكيا • ولما عاد سنة ١٢٩٥ رأى وفدا قادما من امبراطور بيزنطية يطلب ريتا أخت الملك هيتوم زوجة لولى العهد • فقبل الملك هيتوم هذا الطلب وجرت مراسيم الزفاف بالقسطنطينية وأراد ملك الارمن ابرام عقد التعاهد مع الروم ، غير أن هؤلاء وضعوا على بساط الوفاق المناقشات والخلافات الدينية • فلم يفلح هيتوم فى هذا المشروع وعاد الى وطنه ليبحث عن حلفاء مسلمين ينقذوه من سيطرة المماليك • ففى سنة ١٣٠١ ، بعد تحالفه مع العرب وقادة التتر استطاع الملك هيتوم دخول مدينة أورشليم ، غير ان تراجع التتر من ساحة الحرب ، أجبر هيتوم على العودة الى دياره حزينا ودخل الدير للتنسك •

هـ ـ مؤتمر سيس (١٩ مارس ١٣٠٧) •

كانت للارمن روابط متعددة مع مسيحيى الغرب ، خصوصا بعد دخول الصليبيين الى كيليكيا ، وبعد زواج عدد من أميرات الارمن من أمراء الروم • واشتدت أواصر التقارب بعد أن فتحت الرهبنيات الغربية أديرتها فى كيليكيا وأصبح الوفاق بين كنيستى روما وارمينيا على ما يرام وكان من أشد المجندين لفكرة وحدة الكنيسة القديس نرسيس شنورهالى الذى وضع جنبا الخلفات العقائدية وراح يسعى بكل جهد ودأب لتحقيق وحدة الكنيسة خصوصا بعد أن رأى الارمن فى كرسى روما الرسولى وفى الباباوات أضمن سندا معنويا وماديا •

افتتح البطريرك كريكور السابع انافرزتسى مؤتمر أو مجمع سيس بحضور ٢٥ مطرانا واشترك فيه عدد كبير من الرهبان والنساك من ارمينيا الكبرى وكيليكيا لدرس خطوات الوحدة مع روما • لكن بعض الكهنة من ارمينيا الكبرى ظن أن هناك مخاوف على الكنيسة الارمنية من أن تصبح لاتينيه فقاوم هذه الفكرة وحصل انشقاق بين الاكليرس الارمنى مما أدى الى غض النظر عن فكره الوحدة مع كنيسة روما •

٥ ـ سلالة لوسينيان وسقوط مملكة كيليكيا :

أ ـ بعد وفاة هيتوم وابن أخيه لفون الثالث (١٣٠٥ ـ ١٣٠٨) عمت الفوضى فى كيليكيا وارمينيا الكبرى بسبب الخلافات العقائدية بعد مجمع سيس الكنيسى مما اضطر الملك الجديد أوشين (١٣٠٨ ـ ١٣٢٠) الى استعمال القسوة نحو كل من يرفض مقترحات المجمع المقدس ، وطرد وسجن من شق عصا الطاعة ففى سنة ١٣١١ أعلن المطران سركيس عصيانه على البطريرك الشرعى وذهب الى أورشليم وأسس بطريركية القدس ٠

تعرض حكم الملك أوشين الى العديد من المصائب وكانت أولها المشاكل الدينية كما رأينا ٠

وكانت هناك خلافات بين العائلات والامراء التى أضعفت السلطة مما اضطر الملك الى اللجوء الى أوروبا فلم يساعده الا بابا روما، وهذه الاستعانة بالغرب زادت من حقد المماليك عليه فهجموا على ترسس سنة ١٣١٨ ٠ أما سنة ١٣٢٠ أتى المماليك بقيادة السلطان مليك ناصر لكنهم دحروا وتراجعوا غير أن الملك أوشين لم يتمتع بهذا النصر لانه توفى سنة ١٣٢٠ تاركا عرشه لابنه لفون الرابع ٠

ب ـ لفون الرابع (١٣٢٠ ـ ١٣٤٢) ٠

لم يحظ الملك لفون الرابع أيضا بالاستقرار والسلم ٠ من ناحية أولى ، سلطان المماليك قسم على أن يثأر من هزيمته الاولى ، فشن هجومه على كيليكيا لمحو أخر امارة مسيحية فى الشرق واستطاع احتلال القلاع حتى منابع نهر سيهون ٠ ومن ناحية أخرى تفاقمت الخلافات بين محبذى الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية ٠ كان الاباء الدومينيكان قد فتحوا المدارس وابتدأوا فى تعليم اللغة اللاتينية وكان لهم أنصار من الاكليرس الارمنى ٠ فزادت الانشقاقات ، وطالب محبذو الكنيسة الوطنية بطرد هؤلاء الرهبان وكان من ضمنهم البطريرك الذى أعلن عداءه للكنيسة الغربية واتهم الملك بانحيازه الى الغرب فقتله عناصر من محبذى الكنيسة الوطنية وهو فى الثانى والثلاثين من عمره ٠

ت ـ سلالة لوسيان ٠

بمجىء الصليبيين الى الشرق ، قدم معهم عائلة فرنسية تدعى لوسينيان ساهمت فى دعم الصليبيين وتوصلت أن تحكم أورشليم ، لكن سنة ١١٨٧ عندما انتصر صلاح الدين الايوبى على كويدون لوسينيان ملك أورشليم ، هرب الى قبرص وحكمها بأمر من ريكاردس قلب الاسد الصليبى ٠ وعندما تأزمت الامور فى كيليكيا خصوصا بعد موت قسطنطين الثالث أخر ملوك السلالة الهيتومية ، وبعد استشهاد القائد ليباريد من أعظم الثوار الذين عرفتهم كيليكيا ، بدأ الارمن بالبحث عن ملك يرعى شؤونهم ٠ لكن من سيكون هذا الملك ؟ فالمتعندين للكنيسة الوطنية

أبوا اعطاء عرش كيليكيا لغير ارمني ، خصوصا لو كان متعاطفا مع الغرب ، لكن تساهلوا بعد أن اشترطوا أن يتزوج الامير أوتون (من عائلة لوسينيان) من أرملة الملك قسطنطين الثالث • لكن هذا الامير لم يصبح ملكا فاتفق الجميع على اعطاء عرش كيليكيا للفون الخامس وهو من عائلة لوسينيان بعد أن أصبحت عائلة ارمنية •

أتي لفون الخامس الى كيليكا بصعوبة ومعه مائة وخمسة وعشرين جنديا ! وفي سنة ١٣٧٤ بايعته الامة الارمنية ملكا على كيليكيا فى كنيسة القديسة صوفيا فى العاصمة سيس •

لم يكن الملك لفون الخامس أسعد حظا من أجداده • كانت كيليكيا في حالة يرثى لها • الفوضى تعم جميع أرجائها ، الكنيسة الارمنية مقسومة والاعداء على الابواب ينتهزون أية فرصة لغزوها • فى هذه الظروف القاسية لم تعط آخر معركة شنها لفون اية نتيجة ايجابية • وقعت سيس تحت وطأة الطغاة الاتراك وكانت الخيانة سببا فى وقوعها • استسلم الملك لفون الخامس وسلم مفاتيح المدينة للعرب فى ١٣ ابريل/ نيسان سنة ١٣٧٥ وذهب اسيرا الى حلب ثم الى القاهرة ، فاسترده من المنفى ملوك الاسبان ، فذهب الى فرنسا حيث مات فى باريس سنة ١٣٩٣ ودفن هناك وكان آخر ملك لكيليكيا •

سقطت كيليكيا بأسرها أمام الغزاة ، فتشتت سكانها ولم يبق فى كيليكيا جالية ارمنية تذكر سوى مدينة زيتون التى تمتعت باستقلالها الذاتي حتى سنة ١٩١٥ •

القسم السابع :

العصر الفضي في كيليكيا القرن ١١-١٢

هجر الادب والفن من آرمينيا الى كيليكيا عندما انتقل الارمن الى هناك . فكانت كيليكيا توفر للادباء والفنانين المجال الخصب للانتاج لانهـــا كانت تتمتع بالحرية والاستقلال وكان هناك من يشجعهم على التأليف والابداع .

صحيح ان اللغة الارمنية لم تكن كما كانت فى عصرها الذهبى أى فى القرن الخامس ، لغة أنيقة ، واضحة ومعبرة ، غير انهـــا كانت جـــذابة واحتفظت برونقها وهناك من حـاول أن يبسط اللغة ويحولها من الارمنى النحوى (كرابار) الى الارمنى الدارج العامى (آشخرهابار) كالذين كتبوا الامثال والمؤلفات العلمية .

وكانت المواضـــيع الـــدينية والتاريخية تمثـــل جميع عنـــاوين الادب الارمنى فى العصر الذهبى ، فتنوعت فى العصر الفضى . فهنـــاك من كتب عن الحقـــوق وعن الطب ، وهناك من نظم الشعر الى جانب كبير من المواضيع الدينية والتاريخية .

١ ـ مراكز العلم :

كما ان الادب والعلم والفقه ترعرع وكبر وازدهـــر بين رواق الاديرة والكنائس فى العصر الذهبى ، كذلك فى العصر الفضى نشأ على يد الرهبان وفى الاديرة . من أشهر الاديرة فى كيليكيا كان **هرومكـــلا** ، مركـــز البطاركة الارمن ، ثم هناك ترازارك ، ميدزكار ، سكفرا ، كرنير الخ ... والراهب الارمنى لـــم يكن متفرغا للصلاة والعبـــادة فقط ، لا بل كان يكتب ، يترجم وينسخ المخطوطات . واليوم حصيلة المخطوطات الارمنيـة كبيرة ، آتتنا من عهد كيليكيا بواسطة هؤلاء الرهبان الـــذى شجعهم الملك لفون الثـــانى . ومعظم المخطـــوطات محفوظة فى يريفـــان بأرمينيا وفى القـــدس واســـطمبول والبنـــدقية وفيينـــا . ونجد فنـــا جديدا على هذه المخطوطات هـــو فن الزخـــرفة والزركشة وهو عبارة عن تنـــاسق

الذهبي والفضي وسائر الالوان ليعبر عن رمز ديني • وأشهر المزركشين هما قسطنطين وسركيس بيدزاك •

٣ ـ أشهر الادباء :

أ ـ القديس نرسيس شنورهالي (١١٠٢ ـ ١١٧٣)

من مواليد دزوفك • دعي شنورهالي لطيبة قلبه وأخلاقه السامية • توصل الى كرسي البطريرك وهو شاب • كتب الشعر وعكف على اصلاح الكنيسة الارمنية ، بتنظيم طقوسها وكتابة ترانيمها الدينية • له عدة مؤلفات دينية وتفسيرات للكتاب المقدس •

ب ـ القديس نرسيس لمبروناتسي (١١٥٣ ـ ١١٩٩)

من أمراء لمبرون • توصل الاسقفية في عمره ٢٣ • عكف على العمل في تقارب الكنائس وانتدبه الملك والامراء للحوار مع الغرب • كتب عددا من المواعظ وله تفسيرات عن الكتاب المقدس وعن القداس •

ت ـ ومن أبرز الكتاب في كيليكيا: كريكور دغا (البطريرك) ، المؤرخ هيثوم ، فارتان آيككتسي • وفي ذلك الحين أعطت ارمينيا أدباء وكتابا نذكر منهم اريسداكيس الذي كتب عن كوارث وسقوط المدن الارمنية • مخيطار كوش الذي دون القوانين الارمنية ، ماتيوس أورهايتسي الذي ألف تاريخ الصليبيين ، ثم هناك المؤرخون أمثال فارتان وكيراكوس •

القسم الثامن :

الأرمن في الدولة العثمانية . .

١ ـ ماذا حصل قبل احتلال القسطنطينية :

أ ـ التتر فى ارمينيا :

أتى التتر الى ارمينيا قادمين من بلاد الصين ومنغوليا ، ولم يكن لهم أية فكرة عن الحضارة والدين والرقى ، كانوا يرعون الماشية • فاختاروا **تيمور لنك** رئيسا لهم وأخذوا فى توسيع رقعة نفوذهم وشنوا هجماتهم على الشرق الأوسط • أحرقوا سمرقند عاصمة تركستان فهرب حاكمها جلال الدين وهجم على ارمينيا ، لكنه لقى حتفه هناك • وبموته فتحت الطرق أمام غزوات التتر فأحرقوا آنى وشكلوا خطرا على آسيا الصغرى •

وعندما دخل ارمينيا سنة ١٣٨٧ كان جيش تيمور لنك يعد ٨٠٠ ألف فلم يبق شيء قائم أمامه • خرب الأديرة ، نهب القلاع ، دمر وقتل كل من رآه فى طريقه فعاشت ارمينيا أقسى أيام تاريخها • مات تيمور لنك سنة ١٤٠٥ وانقسمت مملكته الكبيرة بين ولديه ، لكن التآمر زعزعها وأضعفها وسقطت ارمينيا تحت وطأة كارايوسف المتآمر على أبناء تيمور لنك •

ب ـ الكنيسة الارمنية وانقسامها سنة ١٤٤١ :

المركز الرئيسى للكنيسة الأرمنية لم يكن له استقرار • فقد تبع التقلبات السياسية وخضع لها • لذا غيره مكانه مرارا فمن اشديشاد الى اردشاد الى فغار شباد الى دفين الى أنى • ثم انتقل الى كيليكيا واستقر فى العاصمة سيس رغم ان البطاركة فضلوا الاقامة فى قلعة هرومكلا •

بعد سقوط مملكة كيليكيا سنة ١٣٧٥ ، عمت الفوضى فى البلاد وضعفت السلطة الكنسية فيها • وعندما اجتمع الأساقفة والكهنة والأعيان

سنة ١٤٤١ وانتخبوا **كريكور موسابكيان** جنليقا (بطريركا) ، احتج أساقفة ارمينيا الكبرى لهذا الانتخاب لعدم حضورهم واعتبروا البطريرك الجديد مخلوعا اذا لم يعد الى ارمينيا وطن الأم • بالطبع رفض كريكور موسابيكيان هذا الاقتراح فسرقوا ذراع القديس غريغوريوس المنور (رمز السلطة الدينية) في سيس وذهبوا بها الى ارمينيا واجتمعوا في اتشميا دزين وانتخبوا جثليقا جديدا وهو **كيراكوس فيرابتسي** •

حصل الانشقاق بين بين الكرسيين وما زال هذا الخلاف قائما الى يومنا هذا •

٢ ـ الأرمن في اسطمبول :

أ ـ في عهد بزنطية :

اشتدت أواصر العلاقة بين الأرمن وسكان بزنطية عندما حول قسطنطين الأكبر عاصمته الى ضفاف البوسفور سنة ٣٠٠ ميلادية • لقى الأرمن في القسطنطينية المركز الفكري والاجتماعي والديني • فانخرطوا في السلك الدبلوماسي والعسكري ووصلوا الى مراكز مرموقة ، فعين منهم نواب وحكام وتوصل اثنا عشر ارمنيا الى عرش الامبراطورية البزنطية •

وكان الأرمن يتمتعون برفاهية وكان لهم قصورهم ومراكزهم وتجارتهم خصوصا مع تجار البندقية وجنوى •

ب ـ بعد سقوط القسطنطينية سنة ١٤٥٣ :

وقعت القسطنطينية في قبضة السلطان محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ وعندما دخلها رأى ما يوازي عشرة آلاف ارمني يقطنونها في حي يدعى اسكودار • أحب السلطان الأرمن وبعد انتصاره على أوزون حسن الفارسي ، استدعى معه ٤٠ ألف أرمني معظمهم من التجار وأصحاب المهن • هذا التصرف من قبل السلطان شجع أرمن تركيا على الرحيل الى اسطمبول •

اتخذ خلفاء السلطان محمد الفاتح نفس السياسة في معاملتهم مع الأرمن وزاد عددهم حتى وصل سنة ١٦٨٠ الى مئة ألف وبدأ الأرمن ينافسون اليونان واليهود وخصوصا بعد أن زاد عطف السلاطين لهم • فأصبحت أسطنبول أكبر مدينة يسكنها الأرمن •

عندما دخل السلطان محمد الفاتح القسطنطينية أعطى تهوفاجيم مطران

بروسا لقب باتريك (بطرك) وولاه السلطة على جميع الأرمن الموجودين فى السلطة العثمانية • مارس البطاركة السلطة الزمنية أيضا وقوى نفوذهم ، لكن سوء تصرف معظمهم أدى الى الانشقاقات والحروب بين الأخوة • شنوا حملتهم ضد كل من كان يلجىء الى كنـــائس المبشرين الأجانب واتهموهم بالخيانة للسلطنة العثمانية • فاضطر قسم منهم للخروج من الكنيسة الارمنية وأسسوا بطريركية مستقلة فى لبنان وهم الأرمن الكاثوليك •

ج ـ الأمراء الارمن فى اسطمبول :

« أميرا » معناها حاكم • لكن الأمراء الأرمن فى اسطمبول لم يكونوا حكاما بهذا المعنى ، بل كانت هذه الكلمة لقبا يعطى لذوى النفوذ الاقتصادى والاجتماعى ولمن كان له مركز مرموق فى مجال الوطنى عند الأرمن •

يقسم أمراء الأرمن فى السلطة العثمانية الى قسمين : الذين ينتسبون الى عائلات عريقة فى التاريخ كأمراء بكردونى ، وآخرين الى تجارأتوا من الأرياف والمدن الى اسطمبول وزاولوا نشاطهم فاغتنوا وتوصلوا الى السيطرة على اقتصاد السلطنة حتى انهم انخرطوا منـــذ سنة ١٧٥٠ فى السياسة وأصبحوا مدراء أعمال الحكومة ومستشاريها ، كمـــا وكانت لهم السيطرة الشبه التامة على أعمال الكنيسة • ومن أشهر الأمراء : داديان ، دوزيان ، بزجيان ، باليان •••

وصل عدد الأمراء الأرمن فى اسطمبول الى مئتين • كان هؤلاء يتمتعون بغناء فاحش لدرجة انهم كانوا يدينون الحكومة ، ويدفعون عجزها • وهـــذا الغناء قادهم للدمار بعد حياة قضوها فى الميسر والانحطاط الخلقى • كان لهم حاشيتهم (الأغا) وحراسهم • وللأسف اشتروا بدرهمهم خدام الكنيسة فأصبحت السلطة الدينية تخضع لهم •

ولكن كان هناك أيضا أمراء يتمتعون بكفاءة واحترام الشعب لهم وكانت سيرتهم مثالية ، خدموا الشعب وبنوا الكنائس والمستشفيات والمدارس •

٣ ـ الاباتى مخيطار مشعل النهضة :

أ ـ حياته وأعماله :

انحاز الأرمن الى جمع الأموال فى اسطمبول والى الوصول الى المراكز السياسية والاجتماعية ، فأهملوا ثقافتهم ، ومن ناحية أخرى أثرت الخلافات



الاباتي مخيطار
من سيواس
مؤسس الرهبة
المخيطارية

والانشقاقات بين الطوائف الأرمنية على الحياة الاجتماعية في اسطمبول ، فساد الفساد وشهد الأدب الأرمني انحطاطا لا مثيل له في تاريخه بالرغم من أن أحوال الأرمن كانت جيدة ٠ وفي غضون هذا الانحطـــاط أتى الى حيز الوجود **الاباتي مخيطار** ، مؤسس الرهبنة المخيطارية ورائد النهضة الثقافية في الشعب الأرمني ٠ ولد مخيطار سنة ١٦٧٦ في سيواس بتركيا الشرقية ، بعد أن درس في مدينته انتقل الى اتشميادزين ثم الى أديرة أخرى ، لكـــن عطشه الى التعمق في العلم والفضيلة جعلته يبحر الى الغرب ٠ لكن مرضه أرغمه في العدة الى مسقط رأسه حيث سيم كاهنا سنة ١٦٩٦ ٠ تنقل كثيرا في مدن تركيا ، لكن الاضطهادات أجبرته على مغـــادرة تركيا ، فذهب الى البندقية بعد أن وضع أساس الجمعية المخيطارية سنة ١٧٠١ ٠ توفي سنة ١٧٤٩ بعد نشاط عملي في تنظيم الجمعية ونشاط ثقافي لامع ٠ ما زال الشعب الأرمني يقطف ثمار مجهود هذا الراهب الجليل ٠

ب ــ المدرسة المخيطارية :

أعطت المدرسة المخيطارية وجوها لامعة من الآباء والعلمـــانيين ٠ من أشهرهم الأباء : ميكائيل تشامتشيان المؤرخ ، ارسين بكرادوني المترجم ، ادوار هرموز الشاعر وخصوصا الاب غيغونت اليشان الشاعر والأديب الذي ألف ثمانين كتابا ٠

أما من التلامذة العلمانيين الذين ترعرعوا بنور المدرسة المخيطـــارية

فأشهرهم الشعراء مجرديتش بشكطاشليان ، ودانيال فاروجان الذى كتب عن الحياة الريفية وعن مذابح سنة ١٨٩٦ بأسلوب رائع وبخيال خصب • استشهد فى مذابح الأرمن سنة ١٩١٥ •

ج ــ الأدب الأرمنى :

هناك عدد كبير من الكتاب الارمن سواء كانوا من اسطمبول أم من المدن الأخرى •

نكتفى بذكر أسمائهم :

بدروس طوريان ، ما تـوعمره واحد وعشرين سنة شاعر الحب والطبيعة (١٨٥١ ــ ١٨٧٢) •

هاجب بارونيان (١٨٤٣ ــ ١٩٠١) الناقد اللاذع ، كريكور زهراب الذى استشهد سنة ١٩١٥ وقارب النشاط السياسى من النشاط الثقافى وله قصص عديدة عن الحياة الواقعية •

سيامنتو ، استشهد سنة ١٩١٥ ، شاعر يعبر عن العنف والدم ويهاجم الذل والاستعباد •

ميساك ميدزا رينتس (١٨٨٥ ــ ١٩٠٨) شاعر الرقة والجمال • كما وهناك شعراء وأدباء لهم مكانهم فى الأدب الارمنى أمثال فاهان تكيان وروبين سيفاك وليفون شنط •

والى جانب الادب ، هناك الموسيقى الأرمنية التى وصلت الى قمتها فى السلطنة العثمانية على يد الأب كوميداس الذى درس فى ألمانيا واهتم باللحن الشعبى والكنسى •

ومن أهم الملحنين دكران تشوهاجيان وكوركين اليمشاه •

٤ ــ الفن المعمارى فى اسطمبول :

الفن المعمارى أو الهندسة يعتبر من اشهر نتـــائج العقـــل الأرمنى الخلاق • منذ القدم والفن المعمارى مشهور لدى الأرمن ، حيث وصـــل الى قمته أيام عهد البكرادونى فى مدينة آنى كما رأينا •

ولكن بعد النكبات التى داهمت الشعب الأرمنى ، لم يتبقى من الفن المعمارى الا القليل ، وتوقف البناء أمام هجمات تيمور لنك وجنكز خـــان والتتر والمغول والسلجوقيين •

وعندما انتقل الأرمن الى اسطمبول ، شـــهد الفن المعماري الأرمني نشاطا كبيرا • كان سينان كالفان ألمع المهندسين الذي بنى ثلاثمئة قصر في اسطنبول ودعي ميكل انجلو الشرق •

ومن أشهر المهندسين أيضا نقولا وجرابيت باليان ولهم العديد من القصور والجوامع في اسطنبول • ما زال أحفادهم يمارسون نفس النشاط في مصر •

٥ ـ الحرب الروسية ـ العثمانية على أرض ارمينيا سنة ١٨٢٧ ـ ١٨٢٩ :

أ ـ بعد خسارة نابليون أمام الروس ، أصبح هؤلاء من أقوى الشعوب • لكن كان ينقصهم منفذ على البحر الأبيض المتوسط وأكبر عقبة في الحصول على مثل هذا المنفذ هم الأتراك •

من أهم أسباب الحرب بين الروس والأتراك كانت مشكلة اليونان التي أرادت الاستقلال سنة ١٨٢٠ ، غير أن الأتراك قضوا على أحلامها وذبحوا الكثير من أبنائها حتى قام المفكرون في الغرب يشنون حملتهم ضد الأتراك وضد أساليبهم الوحشية •

انتهز الروس هذه الفرصة وهبوا للدفاع عن اليونان خصوصا لأنهم ينتمون الى نفس العقيدة الارثوذكسية • ففي سنة ١٨٢٩ أعلن الامبراطور نقولا الأول الحرب ضد الأتراك وقهرهم مما اضطروا الى الاعتراف باستقلال أليونان •

ب ـ هذا النصر الروسي الجديد فتح آفاقا جديدة للاستعمار ولتوسيع رقعة السيطرة على حدود الروس الجنوبية •

تمتع الأرمني كما رأينا بالحرية والرقي في اسطمبول ، لكن الأرمني الساكن في ولايات تركيا الشرقية كان في أزمة معنوية شديدة • استعبده التركي والكردي ، أحرقا محصولاته ، فرضا عليه الضرائب ، أحاطاه بالحقد والكراهية • فلم ير الأرمني في هذه الولايات أي ضمان لأمنه ولازدهاره ، فمال الى وطنه الأم ارمينيا حيث كان النفوذ الروسي سائدا •

فاستغل الروس أوضاع الأرمني السيئة ووعدوه بالاستقلال في وطن أكبر وفي ظروف وامكانيات للعيش أوفر وأضمن • فكسب عطف الأرمني الساذج والمعذب وتحالف معه على قهر الأتراك واحتلال القسم الشرقي من تركيا مدعيا انها ارمنية •

هجم الروس بقيادة باسكيفيتش واحتلوا مدينة كارس دون أية مقاومة تذكر لانشغال الأتراك بالحرب مع اليونان • هذا الانتصار شجع الروس على التقدم والغزو • فاحتلوا اخالكلاك ثم اتجهوا نحو بيازيد حتى ارزروم •

وجد الأتراك أنفسهم فى ازمة شديدة : هزيمة على الجبهة الشرقيـــة وأخرى على الغربية ، المعنويات ضعيفة ، الخزينة خـالية • قبـــل الأتراك الجلوس أمام مائدة التفـــاوض مـــع الروس ورضخوا لشروطهم • طلبت فرنسا اعتبار الأرمن الكاثوليك طائفة مستقلة ، كما وطالبت روسيا باستقلال اليونان ووضع رومانيا تحت حمـــايتها وضم ولايتى اخالكلاك واخالتسخا للامبراطورية التسارية •

لم يستفيدوا الأرمن شيئا لا من تحالفهم مع الروس ولا من نتـــائج المفاوضات • ذهبت الوعود أدراج الرياح ، فعنـــدما انسحب الروس من الأراضى المحتلة ، سكب الأتراك نقمتهم على الأرمن مما جعلهم يغـــادرون ديارهم ويلجؤن الى ارمينيا •

ج ـ الأرمن فى ولايات تركيا الشرقية :

بعد سقوط المملكة الأرمنية المؤسسة فى تركيا الشرقية على سفح جبل اراكادز ، تبعثر الأرمن فى شتى أنحاء تركيا وآسيا الصغرى وكانوا يلجؤن الى قلاعهم خوفا من الغزوات ، فقدوا طموحهم لبناء مملكة قوية على أنقاض أمجاد أنى ، فرحلوا منها الى كيليكيا •

فكانت فى تركيا العثمانية ثلاث فئات ارمنية :

الفئة الأولى : أرمن اسطمبول •

الفئة الثانية : ارمن كيليكيا ، بعـــد زوال مملكة كيليكيا • سكنوا معظمهم فى اضنا ومرسين وعلى جبال الأمانوس •

الفئة الثالثة : الأرمن فى ولايات تركيـــا الشرقية السبع • وكانوا يشكلون ٢٧٪ من سكانها • أشهر الجاليات فى تركيا الشرقية وجدت فى ارزروم ، ملاطيا ، قيصرية ، ، خاربوط ، فان ، ديار بكر ، ماردين ، موش ، بتليس • عاشت هذه الفئة من الشعب الأرمنى فى الذل والطغيان بالرغم من أن الأرمنى الساكن فى هذه الولايات يتمتع بشخصية قوية وبأخلاق حميدة • كان دائما مخلصا ، غير أن الحقد والتعصب الدينى خلقا منه انسانا عنيفا ، ثائرا • فدفع ثمن اخلاصه بسعر الدم !

د ـ اخلاص الأرمن للدولة العثمانية :

نضع هذا الفصل فى دراستنا لنؤكد لكل من يشك باخلاص الأرمن لوطنهم ، حيث تتكرر الى يومنا هذا تلك الفكرة الخاطئة والقائلة ان الأرمنى لا يهمه الا نفسه ·

فنؤكد أن لو أعطى الأرمنى فرصة للعيش بطمأنينة ، ووضع فى ظروف آمنة ، لكانت الأمة التى استضافته ازدهرت وتقدمت · هذا ما حصل فى الدولة العثمانية · سرعان ما دخل السلطان الفاتح اسطمبول ووضع فيهـا العنصر الأرمنى ، حتى شهدت هـذه المـدينة الرقى والعمران فى شتى المجالات ·

ولو انزوى الأرمنى وانطوى على نفسه لمعالجة مشاكله الخاصة والقومية ، ذلك لا يعنى انه نسى واجبه تجاه الوطن المضياف · أعطى الأرمنى كل ما يملك للأمة التى استضافته · أعطاها انتاج عقله وسواعده ، أعطاها أبناءه للدفاع عنها ، هذا ما فعله الأرمن فى الاتحاد السوفياتى ولبنان وسوريا ومصر ·

لا شك أن الأرمنى أخلص الى وطنه بالرغم من تعلقه بشعبه وقوميته ولغته وتراثه · أخذ الأرمنى ، خصوصا فى تركيا ، الكثير من التراث الأجنبى وأضافه الى تراثه ، ثم وضع فى حقيبة مواطنه عصارة أعماله الفنية وثمار سواعده القوية ، كعرفان للجميل ·

وسنرى فيما بعد كيف كافأت الدولة العثمانية مجهود واتعاب واخلاص الأرمن لهم ·

القسم التاسع :

الأرمن حلفاء وأعداء الفرس والروس والعثمانيين

١ ـ علاقة الأرمن بالفرس :

أ ـ شاه عباس :

يئس الأرمن من حقد الأتراك ومعاملتهم فحولوا أنظارهم نحو حليف جديد وقريب منهم : شاه عباس ، ملك الفرس (١٥٨٥ ـ ١٦٢٩) ٠

ذهب البطريرك ملكيسيتيك بنفسه الى أصفهان عاصمة الفرس ليلتمس منه هذه المساعدة ٠ استشار الملك أعوانه وتحقق مع أولياء الشعب والقبائل المجاورة من قوة الأتراك فعزم على قهرهم وطردهم الى الأناضول ٠ فسار على ارمينيا واستردها من سيطرة الأتراك والأكراد ٠ لقى شاه عباس حفاوة بالغة من الأرمن خصوصا فى مدينة تشوغا ٠

ب ـ هجرة الأرمن الى بلاد الفرس :

لم يتمتع شاه عباس بانتصاراته على الأتراك لأن هؤلاء شنوا عليه حملة قاسية بعد أن أنهوا حربهم مع المجر ٠ علم شاه عباس ان الأتراك أقوى منه وانهم سيسترجعوا ما احتله من قلاع ، فصمم على التراجع وأمر الأرمن بالرحيل الى بلاد الفرس بعد أن وعدهم بالأمن والاستقرار ٠ عان الأرمن من عذاب هذه الهجرة ٠ مات الكثير منهم عندما عبروا نهر اراكس ٠ أعطى شاه عباس صلاحيات واسعة للأرمن ، وزع عليهم الأراضى ، بنى لهم مدينة باسم نور تشوغا (تشوغا الجديدة) ٠

اصطلح الفرس مع الأتراك سنة ١٦٣٩ وقسموا بلاد الأرمن الى شطرين يفصلهما نهر اراكس ٠

ج ـ السعى الى الاستقلال : مماليك الأرمن الخمسة :

وضع خلفاء شاه عباس ملوكا أو بالاحرى محافظين بالمعنى الحديث على الولايات المسئولية عليها • فحكم خمسة منهم مقاطعة غراباغ شرق بحيرة سيفان ، لكنهم رأوا أن بعض الاقطاعيين (خان) استغلوا ضعف الحكم فى أصفهان حيث كانوا ينهبون الأرمن ويغتصبون أملاكهم وبناتهم ، فاجتمعوا فى اتشمیادزين مع البطريرك هاكوب الرابع تشوغايتسى وأوفدوا الشاب **اسرايل أورى** الى أوروبا ليشرح موقف الأرمن لملوك أوروبا ويطلب منهم المساعدة على تحريرهم من سيطرة الفرس •

ذهب اسرايل أورى الى روما وقابل البابا اينوسان الثانى عشر ووعده بالمساعدة وحثه على الاستعانة بامبراطور الألمان ليوبولد • وبعد أن زار ألمانيا ، ذهب اسرايل أورى الى بطرس الأكبر قيصر روسيا وعرض عليه مشكلته فوعده هو أيضا بالمساعدة • ثم بعد ذلك قام بزيارة ايران وقابل الشاه بعد أن قدم له أوراق اعتماده من قبل امبراطور روسيا كموفد رسمى يتفاوض لحل الأزمة الأرمنية باستقلالها التام من النير العثمانى • لكن توفى قبل أن ينهى مهمته سنة ١٧١١ •

د ـ تافيد بك (١٧٢٣ ـ ١٧٢٨) :

تلاعب الروس فى السياسة التى اتخذوها بشأن الأرمن حيث كانوا يرغبون فى اتخاذ الأرمن كسلم للوصول الى أطماعهم • لذلك قرر الملوك الأرمن الخمسة حل مشكلتهم بوسائلهم ، وتزعم قيادة التحرير ، القائد دافيد بك الذى كان يشغل منصبا عاليا فى الجيش الروسى • فجمع الجيش ووزعه على قواده وبدأ حملته التطهيرية ، فسحق جميع المقاومات التركية وتوصل الى حدود اذربجان ، ثم الى جنوب ارمينيا وانتصر فى موقعتين على ضفاف نهر اراكس قرب مدينة مغرى •

لكن بطولته كانت مقيدة بمعركة **هيلتسور** المشهورة • بعد اكتساح القرى التركية ، أمرت السلطة العثمانية باخضاع تافيد بك وأرسلت سبعين ألف جندى لقهره بقيادة سارى مصطفى باشا • اشتهرت معركة هاليتسور بعنفها فهناك جيش أرمنى لا يتجاوز الألفين ضد سبعين الفا ، وهناك العتاد القليل لدى الأرمن ، لكن المعنويات كانت قوية لديهم •

وزع تافيد بك جيشه القليل على قواده وأخذ معه ثلاثمئة جندى وهجم ليلا على مواقع العدو زارعا الفوضى بين صفوفهم • ترك العثمانيون عددا لا

يحصى من القتلى والجرحى • فى محاولة ثانية على هليتسور ، سرح تافيد بك ليلا الأناث من أحصنته فخلقت الفوضى عندما رأت الذكــور فى صفوف الأتراك ، فهرعت تدعى الجنود وتزرع البلبلة • سبب هذا التخطيط مجزرة ثانية فى صفوف الأتراك •

أعطى شاه ايران لقب « أمير الامراء » لتافيد بك بعــد أن انتصر فى مواقع أخرى • مات تافيد بك بعد أن عان من قساوة مرض أطاحت بصحته سنة ١٧٢٨ •

٢ ـ علاقة الأرمن بالروس :

أ ـ بعد امبراطورية ايفان الرهيب (١٥٥٢ ـ ١٥٥٤) انتقلت السلطة الى سلالة رومانوف واعتلى العرش بطرس الأكبر أشهر قياصرة الامبراطورية الروسية •

لكن قبل بطرس الاكبر ، كانت العلاقة مع الروس وطيدة • يقال ان أطباء ومهندسين أرمن ذهبوا الى روسيا أيام حكم فلادمير • يقال أيضا أن الروس استعانوا بالأرمن سنة ١٠٦٢ لخوض الحرب ضد البولنديين •

توطدت أواصر الصداقة الأرمنية الروسية سنة ١٦٥٩ عندما أرسل الأرمن تاجا للأباطرة الروس • ثم أتى بطرس الاكبر ودعى أرمن تركيا وايران الى بلاده وأعطاهم الحرية الكافية للتعاون معه لبناء الامبراطورية علما ان لم يكن للروس نهضة ورقيا من قبل • استقر الأرمن فى خــاركوف وكييف ورستوف •

بالرغم من أن الارمن خدموا مصالح الروس ، غير أن هؤلاء لم يساعدوا الأرمن كما كان يجب ، حيث انهم منحوا الاستقلال بقوة السلاح لليونان والبلغار وأنقذوهم من السيطرة العثمانية ، أما مساعدتهم للأرمن بقيت وعودا وحبرا على ورق •

ب ـ الحرب الروسية ـ الايرانية على أرض ارمينيا :

اضطرت الامبراطورة كاترين الثــانية خوض الحرب ضــد الفرس (ايران) ان بعد أن تفاقمت الأوضاع فى ارمينيا وجيورجيا • وصل الجيش الروسى بقيادة بوتمكين الى القوقاس لكن سنة ١٧٩٦ توفيت كاترين الثانية فأوقف الجيش زحفه نحو الجنوب •

تنحى ملك جيورجيا عن عرشه وسلم الحكم للروس . كان ملكها جورجى آخر من اعتلى عرشها . وضعت روسيا حاكما على جيورجيا واستعانت بالأرمن المقضاء على خلايا الفرس فى ارمينيا . لكن انجلترا وفرنسا زودت الفرس بالسلاح لمنع تقدم الروس نحو الجنوب ، لا بل ساعدتهم لرد غزواتهم .

فى هذه التطورات السياسية والعسكرية ، طرأ حادث قلب حسابات الدول الأوربية رأسا على عقب . كان هذا الحادث هزيمة نابليون بونابرت سنة ١٨١٤ . تحالف الانجليز مع الروس فضغطوا على الفرس بالتنازل عن باكو وجيورجيا ومقاطعة سونيك الأرمنية للروس .

ج ـ ولادة القضية الأرمنية :

بعد نفى نابليون اختلف الانجليز ثانية على تواجد الروس فى القوقاس خوفا من أن يتجهوا الى مرافىء الشرق الأوسط ، فشجعوا الفرس على العصيان . أعطى الشاه فاتالى لعباس ميرزا جيشا للقيام بهذه المهمة . لكن الروس بقيادة ماداتيان الأرمنى قهروهم وأجبروهم على التراجع .

شجع هذا النصر الروسى ـ الأرمنى آمال الأرمن لتحقيق الاستقلال . دعى البطريرك نرسيس اشتراكيتسى الأرمن لمغادرة ايران والاستقرار فى ارمينيا (بموجب اتفاقية مبرمة بين الروس والفرس بعد خسارتهم) . زحف أربعون ألف أرمنى الى مدن يريفان وناخيتشيفان ، كانوا يفضلون عشب سهول ارارات على زبدة وعسل ايران .

أعطى الروس الاستقلال الذاتى لارمينيا ، لانهم كانوا لا يزالوا يحتاجون اليهم ، لأن الحرب الروسية ـ العثمانية على الأبواب . وكان هذا الاستقلال الذاتى شبه خدعة للحصول على مؤازرة الأرمن . لم يرض البطريرك الا بالاستقلال الكلى ، فنفى ثم سمم فى تفليس سنة ١٨٥٧ .

هـ ـ نتائج الحرب الروسية ـ العثمانية :

رأينا سابقا ما جرى على الساحة الأرمنية من جراء الحرب الطاحنة بين الروس والأتراك . كانت نتائجها سلبية على الأرمن . ترك الأرمن أرزاقهم ومنازلهم واتجهوا هم أيضا من الولايات الشرقية الى ارمينيا . لكن النتيجة السلبية التى سببت كارثة فيما بعد للشعب الأرمنى بابادتهم سنة ١٩١٥ ، كانت تفاقم العلاقة بين الأرمن والأتراك . هؤلاء اعتبروا الأرمن عملاء

الروس • فاشتدت الاضطهادات وزاد العنف حتى بقى الأرمنى فى هـــذه الولايات معرضا فى كل دقيقة للاغتيال والأغتصاب •

سنرى فيما بعد نتائج هذا العنف وصداه فى الشعب الأرمنى •

د ــ القوانين الروسية للأرمن : الـ « بلوجينيا » :

بعد أن استقر الأرمن فى ارمينيا هربا من الفرس أولا ومن العمانيين ثانيا ، نظمت روسيا الأوضاع وخططت للاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية • وبالرغم من أن القياصرة أعطوا وسهلوا هذه الأوضاع ، غير انهم لم ينظروا بعين الرضى للكنيسة الارمنية ، فالروس لم يعتبروها كنيسة ارثوذكسية ، فحاربوها وقيدوا نشاطها • لكنهم شعروا ان اتشميادزين ، كرسى البطريرك الأرمنى هو قلب الشعب الأرمنى ، ومن يجنى عليه يكون قد جنى على الأمة كلها ، لذا أراد الروس ابرام صيغة للتعـــايش بين اتشميادزين والسلطة الحاكمة ، فأعلنوا قوانين جديدة عددها مئة وواحد وأربعين باسم «البلوجينيا»، حددوا فيها مسئوليات الكرسى البطريركى ، عدلوا فيها صلاحيات البطريرك وقيدوا سلطته ، أنشأوا مجمعا يشرف على أعمال البطريركية ، عينوا قائما باعمال (بروكورور) روسيا له حق التدخل المباشر فى أعمال اتشميادزين •

أثارت هذه القوانين استياء الأرمن مما اضطر القيصر نقولا الأول لزيارة الأقاليم الارمنية لتهدئة الأعصاب •

٣ ــ علاقة الأرمن بالعثمانيين بعد حرب ١٨٢٩ :

أ ــ المفكرون الارمن والاستقلال :

اتخذت نخبة من الشباب الأرمن المفكر والعائد من أوروبا عبرة جليلة من الثورة الفرنسية • وسرعان ما وصلت هذه النخبة الى اسطمبول • هرعت لاحياء الروح الوطنية فى صفوف الشعب اليائس العائش فى تلك الولايات النائية •

فتح الكتاب ، أمثال بشكطاشليان وأوديان وروسينيان ، طريقا جديدا غير ذلك الطريق الذى نهجه الأمراء الأرمن فى اسطمبول • فأرسلوا المدرسين الى الأرياف لدك فى أذهان الأرمن انهم شعب عريق ، له تاريخه وأمجاده • ساهم فى احياء هذا الفكر الكاتب الأرمن الموجودون فى ارمينيا ، امثـــال رافى الذى ألف القصص الوطنية •

بعد أن مهد هؤلاء الأدباء الطريق الى الوعى القومى ، اضطرمت هنالك

أولى شبرائر العصيان ، فاجتاح روح التخلص من العبودية كافة المدن والقرى الأرمنية ·

ب ـ زيتون : ملحمة جديدة من المجد :

تقع زيتون فى كيليكيا بالقرب من مدينة مرعش ، محاطة بالجبال ، لا يزيد عدد سكانها الأربعين ألفا · لم تشتهر زيتون بالزراعة لان الأرض لم تكن صالحة ، فكان معظم السكان يرعون الماشية ويتاجرون بها ·

عاشت زيتون حياة بلا مشاكل لغاية سنة ١٨٥٢ وكانت تدفع للباب العالى الجزية بواسطة الحكام المحليين فى اضنا · لكن هؤلاء الحكام كانوا يفرضون على الأرمن ضرائب أكثر من المطلوب لتغطية نفقاتهم الخاصة ·

استاء الأرمن لهذا الوضع ورفضوا دفع الجزية · كان هنــاك سبب آخر أشعل نار الفتنة وهو أن الأتراك أقاموا فى زيتون مستوطنات شركسية بعد خسارتهم فى الحرب الروسية ـ العثمانية · تدخل قنصل فرنسا لاخماد الفتنة ، لكن عزيز باشا والى مرعش لم يقبل الوساطة ، فصمم على اخضاع سكان زيتون ·

خمسة آلاف عسكرى (لو استطعنا أن نقول عسكرى ! لأن معظمهم من قطاعى الطرق) مكونون من شركس وتركمان هجموا على القرى المجاورة لزيتون وأحرقوا المنازل والمحصولات الزراعية · غزا عزيز باشا زيتون بـ ١٠ آلاف جندى ، لكن تقهقر وترك على ساحة المعركة أكثر من أربعة آلاف جندى بين جريح وقتيل ، أما سكان زيتون خسروا ١٥٠ قتيلا ·

شاعت أخبار هذا النصر الباهر فى جميع الصحف الصــادرة فى اسطنبول ، وشاع انتصار الارمن فى أوروبا ، فهب الباب العالى لعقاب زيتون وأمر بارسال قائد جديد يدعى أشير باشا على رأس مئة ألف جندى · لكن فرنسا وبطريركية الأرمن الكاثوليك تدخلا فى ايجــاد حل جــديد لفض الاشتباك · قبل السلطان عبد الحميد الوساطة علما بأن جيشه سينهزم لو حاول العدوان على زيتون ، فخفف مبلغ الضرائب على سكان زيتون بشرط أن يوضع قائمقام تركى فى المدينة ·

لم يعمر هذا الاتفاق أكثر من عشر أعوام · طرد سكان زيتون القائمقام التركى واشتركوا ثانية فى الحرب ضــد العثمانيين الذين انهزموا وتركوا زيتون حرة وآمنة حتى مذابح سنة ١٩١٥ ·

٤ ـ التعديلات العثمانية : التنظيمات ١٨٦٢ :

أ ـ رأت الدولة العثمانية أن الطريق لجذب الارمن الى الحظيرة هو ادخال تعديلات فى الأنظمة المتعلقة بشؤون الارمن • رأت الدولة العثمانية أن النظام السائد فى الشعب الأرمنى يرتبط كليا بقرار بطريرك الأرمن فى اسطمبول وببعض الأمراء الأرمن الأغنياء ، أما الفريق الكبير من الشعب فمهمل لا حق له فى اى انتخاب أو أى تعديل •

ب ـ عندما اعتلى عبد المجيد عرش السلطنة العثمانية ، أجرى تعديلات شاملة تختص بالأحوال الشخصية لكل الطوائف والشعوب الخاضعة لصولجانه • ففى سنة ١٨٣٩ أصدر « التنظيمات » ، قوانين تنص على تعديلات شاملة تخص الطبقة العمالية •

بهذا أنجزت الدولة العثمانية خطوة مهمة فى الاصلاح الاجتماعى • غير أن هذه الاصلاحات لقيت عداوة كبيرة من الأمراء الأرمن الذين رفضوا بشدة مساهمة العامل الارمنى فى ادارة شؤون الشعب •

قبل أن يسعى العامل الأرمنى الى الحصول على هذه الامتيازات ، كان ولابد أن يتثقف • لذا فتح الأمراء الأرمن والبطريركية بتشجيع من الحكومة المعهد العالى باسم « معهد اسكودار » ، لكن عندما علم الأمراء ان هذا المعهد سيسبب مشاكل جمة لهم ، أغلقوه خوفا من أن يتحول العامل الى مثقف يطالب بمزيد من الصلاحيات •

ج ـ أحس الأمراء انهم أقلية ، لن يستطيعوا أن يفرضوا رأيهم على عامة الشعب ، خصوصا بعد ما قام ثلاثة آلاف عامل بمظاهرة عدائية ، من ناحية أخرى أيضا أحس العامل انه يفتقر الى الأساليب والامكانيات لفرض رأيه • فلهذا تالفت لجنة عليا باسم المجمع الوطنى تضم ثلاثين عضوا ، ستة عشر منهم أمراء وأربعة عشر من العمال • لكن هذا المجمع الوطنى اصطدم بالبطريركية •

تفاديا لأية مشكلة فى المستقبل ، تألف مجمعين : مجمع طائفى : له الصلاحيات الروحية ومجمع مدنى يسوس الأحوال الشخصية ويرعى الشؤون الزمنية للبطريركية • يسود هذا النظام فى الكنيسة الارمنية الارثوذكسية الى يومنا هذا •

دعم الشباب المثقف القادم من أوروبا هذا التقارب وأسس بقيادة

الأديب بشكطاشليان الجمعية الوطنية • فتح أبوابها لجميع الارمن دون أي تمييز • (انقسم الأرمن في اسطمبول الى مناصرى الكنيسة الوطنية والى مناصرى الكنيسة الجامعة الرومانية الكاثوليكية • استطاع الأرمن الكاثوليك في انشاء بطاريركية مستقلة أسست في بزمار ـ لبنان ، ثم انتقل الكرسي الى اسطمبول • وبعد المذابح عاد الكرسي الى بيروت • وما زال بطريرك الأرمن الكاثوليك يمارس سلطته الدينية على مئتي ألف مؤمن منتشرين في سائر بلاد العالم •

لقيت هذه الخطوة اقبالا وتشجيعا من أعيان الأرمن والطبقة العامله • شجعت أيضا هذه الخطوة الصحافة الأرمنية التي بدأت تنتشر في اسطمبول وتفليس •

٥ ـ القضية الأمنية على طاولة المباحثات في أوروبا :

أ ـ الحرب العثمانية ـ الروسية الثانية على أرض ارمينيا سنة ١٨٧٦ :

بعد أن فقدت الدولة العثمانية هيبتها ومكانتها ، لجـأت الى العنف • اعتلى عرش السلطنة السلطان عبد الحميد الذى لقب فيما بعد بالسـلطان الأحمر وبدأ بأسلوب الارهاب لاذعان الأمم التي ما زالت تحت سيطرته • اضطهد البلغار وذبح الكثير منهم كما وشن حملاته العنيفة ضـد سكان سربيا •

تسربت أخبار المذابح الى موسكو ، فأعتبر الروس انها فرصة ثمينة لسحق الأتراك ، مدعيين حماية البلغار كونهم ارثوذكسيين مثلهم •

لكن الانجليز لعبوا لعبتهم السياسية • خوفا من تدخل الروس في أمور الشرق الأوسط ومن تحجيم نفوذهم فيها ، عرض لورد سالزبورى على الاتراك قبول حل للقضية الأرمنية ، أى أن الأتراك عندما يضمنون الحياد في الحرب ضد الروس سينالون الاستقلال الذاتي • بهذا تكون انجلترا قد وضعت عقبة أمام التقدم الروسي علما ان الأرمن من أقوى شـعوب المنطقة خصوصا لو « مرجحتهم » بأمل الحرية والاسـتقلال ولكي يثبتوا نواياهم للأتراك وللأرمن ، أرسلوا اسطولهم الى اسطمبول تحديا للروس •

ابتهج الأرمن لهذا الاقتراح وقبل عبد الحميد عرض انجلترا • لكن روسيا علمت بدورها المخطط الانجليزى وقدمت ورقتها للأرمن : روسيا مكفلة بحل القضية الأرمنية لانها أقرب لها من أى بلد أوروبي آخر • عمدت

روسيا على استعمال القوة وأعطت القـــائد لوريس مليكوف الأرمني جيشا لخوض الحرب ضد الأتراك من مواقع القوقاس · التف حول الروس زهاء مئة وثمانين ألف أرمني · تقدم لوريس مليكوف بمعاونة ارشاك ديرغو كاسوف نحو الولايات الشرقية ، فاحتل بيازيد ، ديادين ، الاشكرد وأخيرا مدينة ارداهان . لكنه لم يستطع دخول مدينة كارس ·

أثرت هذه المعارك على معنويات الأرمن · كان الروس يشهدون كـــل يوم ، أعدادا كبيرة من الأرمن ينخرطون في صفوفهم · كتب الأديب الأرمني المشهور رافي قصصا قيمة تمجد أبطال هذه المعارك ومن أشهر القصص : « جلال الدين » ثم « المجنون » · لم يعجز القائد مليكوف من نضال الآتراك على مشارف مدينة كارس ، احتلها في ربيع ١٨٧٧ ثم وصل الى ارزروم التى وقعت بدورها تحت مدافع الجيش الروسي ـ الأرمنى ·

ب ـ معاهدة سان استيفانو فبراير/شباط ١٨٧٨ :

خسرت تركيا الحربوأملت بأن تحدث الخلافات بين الروس والانجليز ربما تستفيد منها وتسترجع ما خسرتها · لكن الروس صمموا عـــلى ابرام معاهدة ثنائية بينهم وبين الأتراك · فأوفد الروس الدوق نقولا الى مؤتمر سان استيفانو (قرب اسطمبول) وتقدم بمشروع القضية الأرمنية ، وأصر على ادخال قانون دعي باسم « حلقة رقم ٦١ » يعطى بموجبها للأرمن حق العيش في أمان متمتعين باستقلال ذاتى ·
أصرت تركيا على محو كلمة استقلال ذاتى ، فقبلت روسيا هذا الاقتراح مما سبب ازعاجا للأرمن ·

ج ـ مؤتمر برلين : ٣ يونية/حزيران ١٨٧٨ :

استياء الانجليز من قرارات مؤتمر سان استيفانو ، جعلت اللـــورد سالزبورى يتخذ خطوة ايجابية بالنسبة لمصلحته · فحث الدول الأوروبية على عقد اجتماع في برلين لبحث قرارات سان استيفانو ، فاتفق مع السلطان عبد الحميد على احتلال جزيرة قبرص لكى تبقى هذه الجزيرة عقبة أمام الروس اذا حالوا خوض معركة بحرية للتقدم باتجاه موانىء البحر المتوسط ·

أما عن الجبهة الداخلية ، طلبت انجلترا من عبد الحميد اعادة فتح ملف القضية الأرمنية واثقة من أن الأرمن سيساهمون في التصدى للروس ، يكفى ان عبد الحميد يعلن رسميا اعطاء الأرمن الاستقلال الذاتى ، نواة القضية الارمنية ·

استعد الأرمن لهذا اللقاء ، فجهزوا الخرائط ، أجروا الاحصائيات، وجمعوا البيانات التي تدل على انهم أكثرية في المقاطعات التي يسكنونها . لكن كان هناك خلاف بين الأرمن فمنهم من أراد تسليم الدفاع عن قضيتهم للانجليز كونهم حلفاء الأتراك ، والقسم الثاني ادعى أن روسيا هي حليفتهم في الحروب وتستولي على ارمينيا • تقرر نهائيا اعطاء الانجليز هذه المهمة ، فذهب البطريرك نرسيس فرجبديان الى قنصل انجلترا وسلمه القضية فوعده بالدفاع عنها ، لكن سياسة الانجليز كانت بعيدة عن أي تدخل لأية مصلحة جانبية والذي يهمها هو عدم تدخل الروس في الشرق الأوسط •

تكونت اللجنة الأرمنية المنتدبة لحضور مؤتمر برلين من أربعة أشخاص •

لكن مع الأسف لم يجد فيهم أية كفاءة للقيام بهذه المهمة • ذهب البطريرك **خريميان هايريك** ، رئيس الوفد لمقابلة رؤساء الحكومات والملوك لعرض عليهم المشكلة الأرمنية • لكن لا بسمارك ولا حكام ايطاليا وفرنسا تجاوبوا معه •

انعقد المؤتمر في برلين وتوافدت الوفود ، فحاول البطريرك بلا جدوى كسب الرأي العالمي ، وعندما عاد الى اسطمبول قال مؤشرا الى كيفية المؤتمر : « دخلت الأمم الى قاعة الاجتماع بمعالق من حديد (لتأخذ حصتها). أما نحن فكنا جالسين وفي يدنا معالق من ورق » •

٦ ـ معركة التحرير الشاملة :

أ ـ نتائج مؤتمر برلين :

كان مؤتمر برلين وصمة في حق الأرمني • تركت أوروبا القضية الأرمنية وانشغلت في هشمجسد السلطنة العثمانية ، ذلك المريض المنازع • ولما انتهى المؤتمر من أعماله ، عاد السلطان عبد الحميد الى أساليبه التعسفية • أثار الأكراد ضد الأرمن أولا وخطط لمذابح جديدة ستشمل كل الأرمن في تركيا •

ب ـ صاصون : أول احتكاك مع الأكراد :

ألف عبد الحميد جيشا من الأكراد وقطاعي الطرق « لحماية الجبهة الداخلية » في الولايات ، كان هدفه اثارة الأكراد ، خصوصا بعد أن

حصلوا هؤلاء على بعض الصلاحيات بموجب التنظيمات • خطف موسى بك الكردى فتاة أرمنية وكانت أول شرارة لاندلاع الحرب بين الأكراد والأرمن • وبالرغم من أن الأرمن احتجوا على هذا العمل وان حتى جرائد أوروبا كتبت عن هذا الحادث ، غير أن حاكم بتليس ، تحسين بك ، جمع أعيان الأكراد وشجعهم على خوض المعركة ضد الأرمن • فراح الأكراد يحصنون مواقعهم ويضربون الحصار على قرية صاصون •

حاول الأكراد مرتين دخول القرية ، لكن دون جدوى • بعد سنة من هذه المحاولة ، أرسلت الحكومة العثمانية جيشا لضرب الأرمن ، لكن هذه المرة تحالفوا مع الأكراد كونهم أقليات يخافون من أن يصطدموا يوما مع الاتراك • لكن هؤلاء فتنوا وأيقظوا فى روح الأكراد التعصب الدينى واستطاعوا جرهم الى صفوفهم •

دارت معارك عنيفة بين الجيش العثمانى ـ الكردى وبين الأرمن بقيادة مهران دماديان ومراد • لكن الخصم ترك أكثر من ستة آلاف قتيل بينما ضحايا الأرمن لم يتجاوزوا الخمسمئة • أصبحت صاصون بعد هذه المعارك رمز الجهاد الأرمنى مع جاراتها القرى الأرمنية •

ج ـ الأحزاب الأرمنية :

فشل مؤتمر برلين ، الصحافة الأرمنية ، حياة الأرمن الصعبة فى الولايات النائية وخصوصا المعارك الجانبية ضد الأتراك والأكراد أسست الأحزاب الارمنية التى أعطت حرب التحرير نمطا وأسلوبا وقيادة • ولدت الأحزاب الأرمنية للدفاع عن حقوق الأرمن •

حزب الارميناكان

أسس قسطنطين كامسرا كان أول حزب ارمنى فى مدينة فان بعد حروب صاصون مباشرة ثم تولى ادارة الحزب مجرديش بورتقاليان الذى نفى الى فرنسا ، فأسس فى مرسيليا جريدة باسم «ارمينيا» • حارب هذا الحزب فى مواقع عديدة على جبهة مقاطعة دارون ، الا أنه انحل فيما بعد وانخرط أعضاؤه فى صفوف الحزبين الآخرين •

حزب الهنتشاك

شجع حزب الارميناكان الطلبة الأرمن فى جنيف ، فأسسوا جريدة

باسم هنتشاك ثم حزبا بنفس الاسم ·

اتخذ هذا الحزب السياسة الاشتراكية ، لكن الشعب الارمنى لم يفهم هذه السياسة النظرية كونه فى معارك ضارية مـــع الخصم · بدأ حـــزب الهنتشاك عمله النضالى فى اسطمبول · أثار مسيرة شعبية ضد الباب العالى مما سبب مقتل ألفى ارمنى · ثم انتقل الى ولايات تركيا الشرقية · أعطى هذا الحزب شهداء وأبطالا ماتوا فى سبيل القضية الأرمنية ·

بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد حزب الهنتشاك مكانته واحتل المرتبة الثانية فى حياة الأرمن · ما زال يمارس نشاطه فى بيروت ·

حزب الطاشناك

تأسس حزب الطاشناك سنة ١٨٩٠ فى تفليس بعد الحرب العثمانية ـ الروسية وكان عرابها الأدباء رافى واردزونى فى تفليس واليشان فى البندقية حيث أعطوا للشعب الأرمنى تراثا ثقافيا واسعا يبعثون من خـــلاله الروح الوطنية الجديدة ·

أول من أسس الحزب كان الشـــاب **كريستابور ميكائليان** وساعده روستوم وسيمون زافريان اللذان نشرا جريدة باسم تروشاك فى تفليس ثم نقلوها الى جنيف ·

نظام الحزب اشتراكى ديمقراطى · له مجـــالس (كوميده) يرأسها المكتب المركزى · أساسا يرفض الحزب فكرة الدين ، لكن عمليا فضل السبيل النضالى فى حياته الحزبية من أجل حرية الشعب الأرمنى ·

هدف حزب الطاشناك كان مبدئيا تحرير ارمينيا بالكفاح المسلح والعمل الدبلوماسى كما كان هدف الحزبين الأخرين · تطور هدف حزب الطشناك فيما بعد ، فأسس جرائد مختلفة ومراكز ثقـــافية ورياضية · عرف الحزب بقساوة نظامه وانضباطيته وكان هذا سببا لازدهاره وانتشاره ويحتل الحزب اليوم مكانا مرموقا فى حياة الشعب الأرمنى · له مكاتبه فى جميع الجاليات الأرمنية ·

بالرغم من انه ارتكب بعض الأخطاء فى الماضى ، غير أن حزب الطشناك أعطى أبطالا مناضلين لا تحصى ، اهرقوا دماءهم فى سبيل معركة التحرير وفى سبيل انقاذ الشعب من عنف العثمانيين والأكراد ·

د ـ صفحات من المجد :

بعد فشل مؤتمر برلين ، تكلفت الأحزاب الأرمنية بانقاذ الشعب من حقد عبد الحميد بشن معارك ضارية ضد العثمانيين والأكراد .

حاول حزب الطشناك اغتيال عبد الحميد ، ثم أراد جلب أنظار العالم على الساحة العثمانية لترى الأساليب البربرية التى تتعرض لها الأمة الأرمنية ، فاحتل البنك العثماني ولم يخرج منه الا بعد تدخل السفير الروسى (فى ١٤ أغسطس ١٨٩٦) .

ما هى الأسباب التى جعلت الحزب يتخذ هذا الموقف ؟

اندلعت الشرارة من **زيتون** للمرة الثانية سنة ١٨٩٥ . رأى سكانها أن الحكومة تبنى على مشارف البلدة ثكنة ومركزا للمدفعية ، فشعروا أن هناك محاولة لاحتلال زيتون ، لذلك أخذوا بتجهيز قوتهم النظامية التى صدت محاولات سابقة وقهرت الجيش العثمانى .

بدأت أول مواجهة فى اكتوبر/تشرين الأول سنة ١٨٩٥ . أرسل عبد الحميد ثلاثين ألف جندى ضد ستة آلاف ارمنى . لكن لم يستطيعوا فى التقدم ، لا بل تركوا أمام أبواب زيتون العديد من القتلى . استبدل عبد الحميد القائد رمزى بآخر اسمه أدهم ، لكنه لم يكن أحسن حظ من سلفه . خسر عبد الحميد عشرين ألفا من جيشه ، أما خسارة الأرمن كانت مئة وخمسين قتيلا . شاعت انتصارات زيتون فى أرجاء أوربا واستطاعت أن تحتفظ باستقلالها الذاتى لغاية سنة ١٩١٥ .

لم يقبل العثمانيون وجود نواة أرمنية أخرى فى دولتها بعد خسارة المعركة ضد سكان زيتون . لهذا حاولوا اخماد أية شرارة توحى الى حريق قد يشعل الجبهة الشرقية بأكملها . لكن العثمانيين أرادوا اخماد هذا الحريق بالتبن . لانهم زادوا من حقدهم وسخطهم ضد الأرمن . حشد الأتراك زهاء خمسة واربعين ألف مقاتل معظمهم من الأكراد وقطاعي الطرق ، وزحفوا على بلدة زيتون الباسلة . لقى العثمانيون مقاومة عنيفة من قبل خمسمائة فدائى أرمنى بقيادة القائد انترانيك وكيورك تشاووش ومراد وغيرهم . كانت نتيجة أول يوم من المعارك نسبة قتل أرمنى لخمسة وعشرين تركيا أو كرديا .

لكن توازن القوى لم يخدم الأرمن - جرت ثلاث معارك دامية ، فاضطر انترانيك الى الانسحاب وانقاذ سكان زيتون .

أعطت الأمة الأرمنية أبطالا برعوا في فن المعارك وفي اخلاصهم لمبادئهم القومية .

اشتهر من بين الأبطال اغبيور سيروب الذى دافع عن ٢٧ قرية هو وحفنة من فدائيبه . ثم هنساك الفدائى خان ، كيورك تشاووش ، نيجول ثومان ، ومراد ، هراير ، همزاسب ، كيرى ، ترو الذى توفى فى بوسطن سنة ١٩٥٦ .

أما أشهر الأبطال فى حروب النضال ضد الارهاب العثمانى كان الجنرال انترانيك .

الجنرال انترانيك :



ولد الجنرال انترانيك سنة ١٨٦٦ فى مدينة شبين كراهيسار فى شمال تركيا . هرب الى اسطمبول بعد أن قتل تركيا ، ثم من إسطمبول لجأ الى القوقاس .

بعد بداية عادية فى حرب النضال اشتهر فى معركة دير اراكيلوتس ودافع عن مدينة فان . وعندما أعلن الميثاق الجديد فى الدولة العثمانية رفض انترانيك المصالحة مع الاتراك الشباب وذهب الى بلغاريا واشترك فى حرب البلقان .

وفى الحرب العالمية الاولى اشترك مع أول فرقة المتطوعين فى القوقاس وأنقذ الارمن من المجازر وأوقف زحف الاتراك على الحدود الروسية .

بعد اعلان جمهورية آرمينيا (حزب الطاشناك) ذهب الى ارمينيا غير راضيا عن حكام الجمهورية الجديدة ، ثم الى أوروبا وتوفى فى فريزنو سنة ١٩٢٧ .

٨ ـ أحوال الأرمن قبل الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ :

أ ـ « الشباب الاتراك » : JEUNES TURCS

استاء مواطنو الدولة العثمانية من تصرفات السلاطين الذين أهملوا واجباتهم وانصرفوا للترف · لم يهمهم سوى العربدة والسكر والنساء ·

رأينا الصراع المستمر لتجزئة السلطنة وكيف أن بلاد أوربا حاولت كل منها سلخ ضلع من جسد « الرجل المريض » · لكن شبابا أتراك حاولوا انقاذ ما يمكن انقاذه ، أطلقوا على نفسهم « الشباب الأتراك » ونشطوا أعمالهم السرية في باريس لقلب الحكم · لقيت هـــذه المنظمة الجديدة عطف الأرمن وشجع حزب الطـــاشناك أعمـــالها وساندها في بث ونشر سياستها في اسطمبول · أعرب الأرمن عن صـــدق نواياهم واخلاصهم لحركة « شباب الاتراك » ، غير ان كان لهؤلاء مخطط سلبي : جمع الأتراك في أمة واحدة والقضاء على الأقليات ، لكنهم برعوا في تغطية سياستهم الاجرامية بقناع الأخوة والعدالة ·

بعد التغييرات التي حصلت في اليونان والبلقان سنة ١٩٠٨ ، توجه « الشباب الأتراك » الى سيلانيك · تحالف معهم نيازي بجيشه وقائد المئة انور (انفر) وهددوا السلطان عبد الحميد بخلعه · خشي السلطان انقلابا يطيح به ، ففتح ملفات « التنظيمات » ثانية ، وأبواب السجون ، وخطط لتعديلات جديدة · فتعانق الارمن مـــع الأتراك في فرحة ملأت شـــوارع اسطمبول (٢٠ أغسطس/آب ١٩٠٨) لكن هذه الفرحة لم تدم · الشباب الأتراك في أوج مجدهم ، أنور ونيازي معهم ، المسجونون في حرية كاملة يستطيعون تنفيذ المخطط الجهنمي لابادة الأرمن ·

« الشباب الاتراك » ، المسجونون وحزب الاتحاد ، ثلاثة عناصر جاهزة متكافئة ومستعدة لقتل وتشريد الأرمن ، منتظرة فرصة جديدة وملائمـــة لتنفيذ هذا المشروع · أتت هـــذه الفرصة الثمينة والذهبية وكانت الحرب العالمية الأولى ·

ب ـ مذابح اضنا :

أشاد عبد الحميد بالتعاون الوثيق بين الاتحاديين « والشباب الأتراك » غير انه لم ينظر بعين الرضى للأرمن ، حلفاء حركة « الشباب الأتراك » فكر أن لابد من زعزعة هذا التحالف · لم تكن اسطمبول المكان المناسب لهـــذا

الخلاف ، فحاول اشعال الفتن في اضنا • سلم الأرمن « نصف سكان مدينة اضنا) الأسلحة للقنصل البريطاني الذي ادعى حمايتهم وكانت هناك خدعة حبكها الانجليز لاستقطاب الباب العالي • ذبح الأتراك ثلاثين ألف ارمني • وصلت أنباء هذه المجزرة الى أوربا ، فخاف « الشباب الأتراك » في ردة فعل عنيفة ، فاتخذت السلطان عبد الحميد كبشا للمحرقة •

ج ـ خلع السلطان عبد الحميد :

سببت مذابح اضنا خلع السلطان عبد الحميد • اجتمع مجلس الشعب خارج اسطمبول في جلسة سرية وأعلن اسقاط عبد الحميد من السلطة ، نفذ الجيش هذا القرار ، خاصر قصر يلدز وأرسـل السلطان المخلوع أسيرا الى سيلانيك • عاش السلطان الأحمر في المنفى ورأى فيما بعد وابتهج ان هناك أتراك أعنف منه لابادة الأرمن • اعتلى عرش السلطنة محمد رشاد الخامس ، رجل بلا شخصية ، تلاعب به الاتحاديون والشباب الأتراك •

القسم العاشر :

١٩١٥ جريمة مطلع القرن العشرين = شعب يباد

القسم :

١ ـ الأسباب الاجتماعية لمذابح الارمن :

أ ـ الاستغلال المحلى :

لم يقبل الأتراك وجود أمة حرة مستقلة حتى لو تمتعت بحكم ذاتى فى أحضان السلطنة العثمانية • لذلك لم يعـــد أى سلطان بالاستقلال للشعب الأرمنى الذى يجب أن يمتثل لأوامر قصر يلدز •

رأينا كيف أن السلاطين طوروا الأحوال الشخصية للأرمن واعتبروا جميع سكان السلطنة متساويين أمام القـــانون بالتعديلات التى أجريت فى « التنظيمات » لأرواء ظمأ الأرمن للحرية • لذلك نفوا وعذبوا وقتلوا كل من ألحق ضررا بالامن وحرض الشعب على الثورة •

لم يجد الأرمن الرضى فى هذه التعديلات • كان هدفهم الوحيد ، من خلال أدبهم ومعاركهم وعلاقاتهم مع جـــيرانهم ، التحرير من نير الأتراك • اتخذوا جميع الوسائل للوصول الى مرادهم • أرسلوا الى أوروبا وخصوصا الى روسيا وانجلترا والفاتيكان وفودا للدفاع عن حقوقهم • أوفدوا وسطاءهم الى المؤتمرات الدولية ، لكن عندما رأوا ان الاستقلال حبر على ورق وتعهـد عابث ، عمدوا على الوصول اليه بأساليبهم الخاصة •

كانت الدولة العثمانية فى مازق • لم تسمح أبدا باعطاء الاستقلال لأى شعب يخضع لها • فاستفادت من الحرب العالمية الأولى لفض حساباتها مع الشعب الأرمنى الذى استعان ، على مرور الأجيال ، تارة بالفرس وطورا بالروس للحصول على الحرية •

ب ـ وضع الأقليات فى الدولة العثمانية :

لا يوجد فى العالم أية دولة حيث لا يعيش مع سكانها المحليين ، طائفة أو جالية أو أقلية أخرى ٠

كانت فى تركيا (بالمعنى الحديث) أربع أقليات : اليهود : فى اسطمبول ٠ اليونان فى المدن الكبيرة ، اسطمبول ، ادرنة ، وازمير ٠ الأكراد : فى شرق وجنوب شرق تركيا ٠ ثم الأرمن : منتشرين فى كل المناطق ٠

كانت لهذه الأقليات أحوالها الشخصية ، مدارسها ، ولجانها الادارية ، تتمتع جميعها بحرية العمل ٠ وكجالية أقلية ، كان الأرمن يشكلون قوة ونفوذا لا بأس بهما ٠ اعتبرت هذه الأقلية ، بلا سبب وبدون داع ، العدو رقم واحد للأمة ، لانها تزعج السلام والأمن الداخلى وتتعاقد مع الروس لمحاربة الدولة ٠

لكن التاريخ أثبت ان الأرمن لم يكونوا أبدا أعداء للشعب التركى واذا كان هناك يوما أى مساس بالسلطة التركية ، فذلك نتيجة للاضطهاد الذى مارسه التركى والكردى ضد الأرمنى المظلوم الساكن فى ولايات تركية الشرقية ٠ محاولة اغتيال السلطان عبد الحميد ، الاستيلاء على البنك العثمانى لم يكونا الا لايقاظ الضمير التركى وممارسة الضغط على السفراء الأجانب فى اسطمبول ليحتجوا على أساليب العنف التى تعرض لها الأرمن فى الولايات النائية ٠

شكل الأرمن عنصرا بناء فى الدولة العثمانية ٠ حياتهم الخاصة والاجتماعية ، ميلهم لمصالح شعبهم وقوميتهم لم ينسيهم أبدا واجباتهم نحو تركيا ٠

فالاتهامات المبتكرة من قبل الحكام الأتراك القائلة ان الأرمن كانوا أعداء للأمة عارية من الحقيقة وبلا أساس ٠ ثم حتى لو وجد أرمن ثائرون وبعض العناصر الفوضوية وغير انضباطية سببت بعض المشاكل ، ذلك لا يبرر مذبحة أكثر من مليون ارمنى برىء ٠

ج ـ : تركيا للأتراك :

من الأسباب التى قادت الأرمن للمذبحة هى ادعاء الحكم الثلاثى المؤلف من طلعت وجودت وأنور بأن تركيا هى للأتراك ٠ وهذا الادعاء وريث حركة « الشباب الأتراك » التى أطاحت بعبد الحميد ٠

« تركيا للاتراك » • كل عنصر لا ينتمي الى القومية التركية أو العثمانية يجب أن يزول • هذه العنصرية وهذا التعصب سببا المذابح • كانت ستعقب ابادة الأرمن ازالة جميع الاقليات الباقية •

٢ ـ الأسباب السياسية لمذابح الأرمن :

أ ـ أطماع الروس فى البحر المتوسط :

عرف الروس جيدا اهمية البحر المتوسط • توصلت انجلترا للحصول على المستعمرات وضمها للتاج البريطانى بواسطة البحر المتوسط ومرافئه : جبل طارق وقنـــاة السويس • لم يكتف الروس بانجـــازاتهم وتوسعهم الاستعمارى على الجبهـــة الشرقية البلغارية والاكرانية ، أرادوا النزول الى حوض البحر المتوسط • فاعلنوا كما رأينا حربا ضارية ضد الفرس ، ذهب ضحيتها الآلاف من الارمن •

شعر الانجليز بالخطر الروسى ، فساعدوا الأتراك ، لكن هؤلاء منيوا بخسارة فادحة • ثم كان هناك الاستقلال اليونانى مما زاد من مخـــاوف الانجليز • من الآن وصاعدا ، أصبح هدف الروس واضحا : الوصول الى البحر المتوسط وضرب كل عقبة تقع على طريقها •

كانت تركيا هى تلك العقبة • منذ البدء لم تكن العلاقات بين الدولتين طيبة • بعد أن وضعوا بلاد البلقان تحت حماية الامبراطورية النمساوية سنة ١٨٧٧ ، أحس الروس انهم طليقو الأيدى للهجوم على تركيا •

شعر الانجليز باقتراب الخطر ، فأرسلوا أسطولهم الى الاستانة • لكن هذا التخطيط لحماية تركيا عسكريا كان يجب أن يكون مقرونا ومحميـــا بتخطيط من الداخل • أشعل الانجليز **القضية الأرمنية** لتخدير الأرمن ولعدم زجهم فى الحرب الى جانب الروس •

علمنا سابقا ما كانت نتائج مؤتمر برلين وسلبياته •

ب ـ المحور باهن ـ بغداد : مشروع ألمانى :

مشروع فتح الطريق من باهن الى بغداد ، كان من أهداف الألمان فى الحرب العالمية الأولى •

ولكى تسعى ألمانيا فى الوصول الى تحقيق هذا الخط الممتد من ألمانيا الى الشرق الأوسط ، ومنه القفز الى الهند والاستيلاء فيما بعد عـــلى غنى

الشرق الأقصى ، كان ولابد من محالفة الأتراك ، لأن الخط يجب عليه أن يمر فى تركيا ·

من ناحية أخرى كان هناك المحور الروسى المعاكس ·· خط من ارزروم الى انطاكية فى البحر المتوسط · الخطان الألمانى والروسى كانا يتقابلان فى ولايات تركيا الشرقية ، أى على أرض سكانها من الارمن · لهذا سعت كل من ألمانيا وروسيا لكسب رضى الأرمن فى حالة نشوب حرب طاحنة بينهما · حثت ألمانيا الاتراك باقناع الأرمن على عـــدم الاشتراك فى الحرب ، فذهب « الأتراك الشباب » الى حزب الطشناك ، يطلبون منه رسميا عدم الانحياز · اجتمع الحزب المتولى أمر الشعب الأرمنى فى ارزروم وأصدر قرارا بان الأرمن فى تركيا سيكونون مواطنين مخلصين ، ليس لهم علاقة بالروس حتى ولو كانت ارمينيا تحت حمايتهم · غير أن الاتراك لم يقتنعوا بصدق الأرمن ، واتهموهم بالتعاون مع الروس ضد الأتراك ، وكان هذا من أسباب المذابح ·

٣ ـ المؤامرة :

بعد مؤتمر لندن سنة ١٩١٢ ، اغتيل محمود جودت كبير وزراء البلاط العثمانى · هذا الاغتيال أعطى الفرصة الثمينة للشباب الأتراك للسيطرة على الحكم · تأسست اللجنة الثلاثية Triumvirat من طلعت وزير الداخليه ، جمال الحاكم العسكرى ثم وزير الحربية وأنور (انفر) نائب الجنرال وفريب السلطان ·

نشبت الحرب العالمية الأولى · أظهرت تركيا ميولها لمحـــالفة فرنسا وانجلترا ، غير أن انفر وطلعت فضلا مؤازرة الألمان الذين أرسلوا أسطولين « كوبن » و « برسلاو » · اعتقدت فرنسا وانجلترا أن تركيا ستنتهج سياسة عدم الانحياز ، لكن تورطت مع الأسطول الروسى ، فكانت أول الشرارة للحرب العالمية الأولى فى ٣١ اكتوبر/تشرين الأول سنة ١٩١٤ ·

أغلقت الحدود وقطعت المواصلات مع الغرب · أصبحت تركيا طليقة اليدين ، حان الوقت لمحاسبة الأرمن على أعمالهم ! لكن قبل أن تبدأ بعملية الابادة أرادت اعطاءها صبغة رسمية · طلبت ، كما رأينا من حزب الطشناك أن يؤلف جيشا متطوعا لحماية الجبهة الشرقية ضد الروس · لكن حـــزب الطشناك رفض هذا الاقتراح ، علما بأن الروس سيضعون على حـــدودهم جيشا معظمه من أرمن بلاد القوقاس ، مما سيسبب حربا يتقاتل فيها الأخوة·

بررت تركيا موقفها السلبى وتخطيطها الجهنمى بعدما عادت صفر اليدين من مجمع حزب الطشناك فى ارزروم ٠

بدأ تنفيذ التخطيط الجهنمى من اسطنبول ٠ اعتقل الأتراك ستمئة من اعيان وأدباء الأرمن وأقيدوا الى الصحراء ٠

بعد هذه الجريمة الاولى ، شرعوا لتهجير وقتل الأرمن ابتداء من طرابزون حتى ماردين وأورفا ٠

كانت الاوامر واضحة ٠ أرسل وزير الداخلية طلعت البرقية الآتية الى نعيم بك حاكم حلب : « تهجير الأرمن هدفه تحقيق السعادة للشعب التركى ٠ لانهم اينما وجدوا سيطالبون بحقوقهم المزعجة ٠ يجب أن نقلل عددهم بأى أسلوب كان » ٠

أرسل هذا الوزير فى ٩ سبتمر/أيلول سنة ١٩١٥ برقية أخرى الى والى حلب هذا نصها :

« حق الأرمن فى الحياة والعمل فى تركيا يعتبر لاغيا ٠ الحكومة ، بعد أن اتخذت مسئولياتها بهذا الصدد ، أمرت أن تقتل حتى الأطفال فى السرير ٠٠٠ بلا أى سبب و عذر ، جميع الأرمن ، نساء أو أطفال ، حتى الذين لا يستطيعون التحرك ، هجروهم ولا تسمحوا للسكان الدفاع عنهم » ٠

٤ ــ السوقيات والمذابح :

أ ــ الولايات الشرقية :

١ ــ ولاية ارزروم كانت تعد ٧٠٠ر٦٤٥ نسمة وكان الأرمن يشكلون الثلث ، موزعين فى ثلاث مدن : ارزروم ، ارزنكا وبايبورت فى التاسع من يونية/حزيران قامت من بايبورت أول فرقة من خمسمئة عائلة واتجهت نحو الجنوب ٠ التحق بها فيما بعد خمسة آلاف مهاجر وصل الجميع برفقة أربعمائة جندى تركى الى ايرزنكا ٠ هناك أمر تحسين بك والى المنطقة بأن يتجهوا نحو الجنوب ٠ وسرعان ما غادروا ايرزنكا حتى استولى الأكراد على جميع أموالهم خطفوا الفتيات وقتلوا الرجال ٠ لم يستطع الوصول الى خربوط من هذه القافلة الا القليل حيث ألقى الأكراد والأتراك جثث الأرمن فى نهر الفرات ٠

فى ٢٨ يولية/تموز غادرت آخر قافلة مدينة ارزروم مع مطران المدينة ٠ ولم يبق من سكان ارزروم الأرمن سوى خمسين عاملا : اسكافى ، خياط

ونقاش الذين ذبحوا فيها بعد عندما وصلت القوات الروسية الى ارزروم واستولت عليها » •

يقال ان نهر الفرات تعثر في سيره وأزعج سكان الريف وعثر سير الطاحون وان الدماء سممت الماء • وعندما كانت جثث الارمن تعوم على الشاطىء ، كانت الكلاب تنهشها •

٢ ـ أما فى ولاية بتليس فكان تعداد الآرمن يصل الى ١٨٠ ألف ، خصوصا فى مدن بتليس وموش وسعرت • كان الوالى مصطفى خايل ، نسيب طلعت ، قد أمر بتفتيش منازل الآرمن •

نظم الوالى أول قافلة من السيدات • لم تصل الى الموصل فى العراق بعد المشى خلال اسبوع الا ستمئة سيدة فى قافلة كانت مكونة من ١٧٠٠ امرأة • أما الرجال وعددهم ٤٫٥٠٠ فى مدينة بتليس أعدموا رميا بالرصاص ودفنوا فى خنادق حفروها هم بأنفسهم •

خطف الأتراك الآلاف من السيدات والبنات وذبحوا الأطفال والشيوخ •

٣ ـ كان الأرمن فى ولاية طرابزون أقلية ، اذ لم يشكلوا سوى خمسة فى المئة من السكان • فى الرابع من يولية/تموز طردوا الأرمن من منازلهم حيث نهبت وأحرقت • وعندما دخلها الروس سنة ١٩١٨ لم يروا فيها سوى عائلتين وعشرة نساء مختفيات عند العائلات اليونانية •

٤ ـ كان يعيش فى ولاية سيواس زهاء مئة وخمسة وستين ألف ارمنى • وصل أمر التهجير الى مرزفان أولا ، ثم الى اماسيا وأخيرا الى مدينة سيواس • لم يبق من الأرمن فى هذه الولاية سوى عدد ضئيل وصل الى حلب ودير الزور فى حالة يرثى لها •

٥ ـ كان عدد سكان ولاية ديار بكر نصف مليون تقريبا ، ثلثه من الأرمن • فى العاشر من مايو/آيار ٦٧٤ من أعيان الأرمن غرقوا فى نهر الدجلة • فى مدينة ديار بكر اثنا عشر ألف عامل ارمنى من الولايات المجاورة قتلوا رميا بالرصاص أو بالفأس •

أمر والى ديار بكر عمر بك بتهجير الارمن نحو ملاطيا شرقا ونحو ماردين جنوبا ، لم يبق من سكان ديار بكر الا القليل •

• ماردين ثانى مدينة فى ولاية ديار بكر كانت تعد خمسة عشر الف أرمنى• قافلتان اتجهتا الأولى نحو ديار بكر والثانية نحوالجنوب • لم يصل أحد من القافلة الأولى • أما الثانية فتبعثر أعضاؤها فى صحراء سوريا • قتل المطران اغناطيوس مالويان مع اثنى عشر من كهنته بعد أن سحبوا أظافر أصابعه •

٦ ـ أما فى ولاية خربوط حيث ثلث سكانها من ارمن ، أمر الوالى صالح بك ، فى أوائل شهر مايو/آيار باعتقال وتعذيب أعيان الأرمن لكى يسلموا سلاحهم ، ثم باعدامهم رميا بالرصاص • فى الخامس من يولية/تموز قبض على ٨٠٠ ارمنى وأرسلوا الى جبل مجاور حيث اعدموا فى العاشر من نفس الشهر قبض على باقى الأرمن وتألف منهم قوافل عديدة لتهجيرهم • هجم الأتراك على ميتم الألمان حيث كان يوجد فيه ٧٠٠ يتيم أرمنى • اعتقلوا جميعهم وخنقوا فى بحيرة مجاورة •

قبض على جميع الرجال الأرمن فى مدينة ملاطيا • جمع ألفان من سكان ارابكير الأرمن فى قوارب وأغرقوا فى نهر الفرات •

لم نتجرأ فى استكمال لائحة المدن التى ضربها الحقد والبغض • فهناك أيضا عشرات الألوف من الأرمن فى ولايات الاناطول (انقرة ، يوزغات ، قيصرية ، قونيا) ولايات بروسيا وسانجاك وازميت ، ولايات تراقيا واضنة، ولايات كيليكيا (مرعش ، زيتون ، كوتمو •••) ولايات حلب وارفا وديار بكر ••• لم نر مدينة على الخريطة الا ولطخت بالدم البرىء •

يقال ان عدد ضحايا الأرمن يوازى مليون ونصف • معظمهم ماتوا فى الصحراء والباقى مات بعد العذاب والأمراض : الجرب ، الخرس ، الجنون • كانت هذه الأمراض شائعة فى القوافل الارمنية التى قطعت آلاف الأميال مشيا تحت الشمس المحرقة ، جائعة وعطشى ، معرضة للموت فى كل دقيقة •

وصلت القوافل الى صحراء دير الزور بعد أن نقص عددها • خرجت قوافل الأرمن من منازلها بعشرات الآلاف ، لم يصل منها الا القليل القليل والذى وصل سالما الى الصحراء عانى من الأمراض والمجاعة ، حيث فضل الموت فى الطريق ورميا بالرصاص من الحياة فى الصحراء •

٥ ـ **المقاومة الأرمنية :**

هناك بلا شك مدن وقرى ارمنية قاومت محاولات التهجير واستبسلت•

من أهم المقاومة التى عرفها الأرمن ، هى مقاومة سكان جبل امانوس (موسى لير) حيث عدد ضئيل من الأرمن قاموا بشدة مدافع الأتراك حتى وصلت فرنسا وانجدتهم • كتب الأديب الألمانى فرانس فرفيل عن هذه البسالة الارمنية ، قصته الشهيرة الأيام الأربعين فى موسى لير •

هناك أيضا مقاومة شبين كراهيسار ، ومقاومة مدينة فان التى طردت الأتراك بعد أن اشتركت فى الدفاع عن المدينة النساء والاولاد •

هناك أيضا مقاومة أورفا التى استبسلت ووقعت فى أيدى الأتراك بعد أن قاد الحملة ضدها القائد الألمانى فون فولسكين •

٦ ــ من هم المذنبون ؟ :

القول ان الحكومة التركية هى المسئولة الأولى عن ابادة الأرمن انهـــا لحقيقة صارمة لا تقبل الجدل ولا أى اثبات •

لكن ما هى أبعاد تورط الحلفاء ؟ طبعا ان ابادة الشعب الارمنى لم تكن مشروعا ومبدأ وأسلوبا ألمانيا • لكن هـــذه الحقيقة لا تبرر مواقف ألمـــانيا السلبية •

١ ــ موقف ألمانيا :

« هذه هى تعاليم الألمان » • ترددت على ألسنة الأتراك هذه العبـــارة كتب الدكتور مارتين نيبـــاج ، مدرس فى المدرسة الألمانيـــة ، فى حلب : « استغرب موقف ألمانيا ••• الجميع يفكر ان هذه العملية مخطط ألمانى •• »• عبر هنرى شتورمر عن سخطه عندما قال « العيب الذى سيسجله التاريخ هو أن ابادة شعب عريق ، عرف بقيمه وحضارته ، حصل فى تركيا عندما كانت لألمانيا أكبر نفوذ فيها آنذاك • أما هنرى مونكرتاو ، سفير أميركا فى اسطمبول قال : « من قرأ عن العنصرية الألمانية Pangermanisme فهم جدا ان هذه الابادة مخطط ألمانى ••• » •

هل مسئولية الحكومة الألمانية تتوقف على أنها شهدت ووقفت مكتوفة الأيدى أمام مذبحة الأرمن ؟ من البديهى انها لم تنظم ولم تشجع المذابح ، ولكن عندما سنحت لها الفرصة ان تحتج ، تراجعت وسمحت بتنفيذها • ثم هناك مسئولية الدبلوماسية الألمانية • صدقت الحكومة فى برلين جميع أقوال مراسليها دون تحقيق وتدقيق فى الأحداث • كان يكفى أن يقال ان الأرمن مشاغبون فى ولايات تركيا الشرقية ، لذلك يستحقون التهجير والتنكيـــل والقتل ، لكى تعبر برلين عن رأيها مباشرة بدون فتح أى ملف •

من المعقول أن حكومة مثل ألمانيا كان عليها أن تدافع عن تحالفها مـــع تركيا ، لكن هل هذا يبرر تجاهلها للمذابح ؟

ب ـ الدبلوماسية التركية :

اكتفى سفراء ألمانيا وأمريكا وايطاليا بشجب الأحداث التى كانت تمر بها ولايات تركيا الشرقية ٠ « عمل بربرى ؟ ، « أحداث لا مبرر لهـــا » ، « تركيا مسئولة عما يحدث » ، « الأرمن فى محنة » : شعائر أطلقت من هذه السفارات ، استمع لها طلعت ، لكن استطاع أن يبرر نفسه بقوله ، ان الذى يحدث ، متعلق بأمن تركيا وليس هناك ابادة ٠ فى البدء شجبت دول الحلفاء أعمال العنف فى تركيا ، ثم هددت بالتدخل الدبلوماسى ، أى معرفة حقائق ما يجرى فى الولايات النائية ٠

أصبحت اسطمبول مركزا للتقارير التى كانت تصل من القناصل فى هذه الولايات ٠ لم تحجم هذه التقارير اليومية ما كان يجرى فى ارزروم وفان وكيليلكيا وطرابزون ٠ لقاءات عديدة ، مقابلات لا تحصى ، حسب الملفات السرية فى السفارات ، كانت تجرى بين سفراء الدول الكبيرة الأجنبية مع طلعت وانفر ، لكنهما فسرا هذا الاعتداء على الأرمن كعقاب الخائنين ٠٠٠ حيث ، كانا يدعيان ان الأرمن خانوا أمتهم بالتعاون مع الروس ٠

فى ٢٦ مايو اعترفت تركيا رسميا بهذ هالمذبحة القائمة وبررها طلعت بادعائه أن الارمن قطعوا الاعانات عن الجيش التركى ٠ وفى ١٨ ديسمبر ، شرح طلعت بعد جولته فى ولايات تركيا الشرقية ، للسفير وولف مترنبك ، ان « هناك أبرياء قد قتلوا فى عمليات ٠٠٠ الحفظ عن الأمن ٠٠٠ » وأن « ٠٠٠ الحكومة التركية تسهر على سلامة القوافل المهاجرة الى الصحراء ٠٠٠ » وان « ٠٠٠ لا خوف على سياسة ألمانيا ، طالما الحكومة التركية والباب العالى هما المسؤلان عما حدث » ٠

لكن فى ١٨ ديسمبر ، عندما كان طلعت يجرى هذه المقابلة ويدلى بهذه التصريحات « المطمئنة » ، كانت الولايا تالشرقية خالية من الأرمن والقوافل جميعها تسير وتنتهى فى الصحراء فى ظروف صعبة لا يتصورها العقـــل الانسانى ٠

ج ـ مسئولية الحلفاء :

لم تهتم سفراء دول الحلفاء كثيرا بالقضايا الأرمنية ولا بالمذابح لانهماكها

بسريان الأحداث العالمية وعمليات الحرب • كل هم الحلفاء كان الحصول على أكبر قسط من الوراثة بعد انهيار الدولة العثمانية • اجتمـــاعات السفير الروسى زفاريف هدفت الى اطمئنان التقدم الروسى عـــلى جبهة القوقاس والتأكيد من عدم فرط التلاحم الروسى الأرمنى •

كانت هموم فرنسا وانجلترا تتركز على تقسيم تركيـــا وسيطرة نفوذها • كانت هناك مباحثات ، ولقـــاءات بين سايكس السفير الانجليزى وبيكو سفير فرنسا فى بيروت نتجت من خلالها وضع لبنان وسوريا وكيليكيا تحت « الشريط الابيض » الفرنسى ، ثم فلسطين والعراق والأردن ومصر تحت « الحزام الأحمر » الانجليزى • تركت مشكلة تركيا الشرقية لمدى تجـــاوب الروس معهم بعد الحرب العالمية ، كذلك مشكلة الأناضول التى تفاوض عليها الحلفاء وقرروا أن تكون نواة لما تبقى من السلطة العثمانية فى دولة تركية ، لكن مصطفى كمال أتاتورك بدد آمال الحلفاء •

أما ارمينيا ؟ بعد المذابح الرهيبة ادعت الدولة التركية ان لا داع لوجود وطن أرمنى لأن « الأرمن انقرضوا » •

لم يدافع عن الأرمن ايجابيا ولم يتخذ موقفا فعالا تجاه هذه المذابح الا الكرسى الرسولى • المونسنيور دولشى ، ممثل الفاتيكان ، استطاع أن يضغط على الحكومة التركية وتفـــادى للأرمن مجـــزرة رهيبة كانت ستحصل فى اسطمبول •

د ــ أبواق العدالة لم تسمع بعد :

مليون ونصف أرمنى راحوا ضحية الحقد ، تشرد شعب بأكمله ، فقد أراضيه ولم ير الى الآن من حقوقه سوى الحبر على الورق • فالعدالة واجب قبل أن تكون رحمة • اعطاء الشعب حقوقه ، أبسط ما فى الانسانية من قانون ، وأرخص ما فى العلاقات الدولية من اتفاق • تشرد الشعب الأرمنى ، وحتى لو استطاع أن يصنع المعجزات فى البلاد التى استضافته ، ذلك لا يعنى انه توصل لمبتغاه • فما زالت هناك جثث ، ترقد فى الصحارى تنتظر بزوغ شمس العدالة •

القسم الحادى عشر

أرمينيا جمهورية مستقلة

١ ـ ما بعد الحرب العالمية الأولى :

أ ـ تكوين الجيش الأرمنى المتطوع :

استطاع عدد من الأرمن الهروب من الجحيم العثمانى واللجوء الى البلاد المجاورة · ألف نوبار باشا لجنة لبحث أوضاع الأرمن وفتح مكتبا لتسجيل المتطوعين لاستعادة كيليكيا · تدرب زهاء ثلاثة آلاف جندى أرمنى على السلاح فى قبرص ، ذهبوا بعدئذ الى فلسطين لمحاربة الأتراك والألمان · اشتركوا فى موقعة ارارا (عرار ؟) ضد الألمان واحتلوا قمة الجبل · دهش الجنرال المبى من سرعة التقدم وقوة الأرمن · تراجع الأتراك والألمان بعد أن خسروا المئات من القتلى وأسر لهم خمسة وعشرون ألف جندى ·

طلب الاتراك الهدنة فاشترطت فرنسا اجلاء كيليكيا · دخلها الفرنسيون والمتطوعون الأرمن ، لكن تركيا لم تجل عنها · استقر الأرمن النازحون فى كيليكيا ووصل عددهم الى مئتى ألف · ففتحوا المتاجر والمدارس وابتدأت الحياة تأخذ مجراها ، لكن فرنسا كانت دائما تنحاز الى الأتراك فى أية مشكلة كانت تحصل خصوصا لما أراد الأرمن اعطاء كيليكيا الاستقلال · فشلت جميع المساعى للحصول على استقلال كيليكيا وكان سبب هذا الفشل عدم الخبرة فى الدبلوماسية وسوء التفاهم بين الأحزاب الأرمنية وكسب رضى الاتراك من قبل الحاكم العسكرى الفرنسى هناك ·

ب ـ مصطفى كمال (اتاتورك) ١٨٨٠ ـ ١٩٣٨) وانجازاته :

عندما كانت كيليكيا تتقلب فى صراعاتها الداخلية ، كانت الأحداث تدور

فى الأناضول لصالح الأتراك الذين لم يتركوا أية فرصة للهرب من رقابة الانجليز والفرنسيين ·

فى هذه الظروف ظهر على مسرح الأحـــداث مصطفى كمال أتاتورك ، يهودى الأصل من سالونيك ، وبعد أن خدم فى الجيش ، توجـه الى قيصرية ونظم الجيش التركى وأعلن حكومة وطنية فى الأناضـول · رفض السـلطان الاعتراف بهذه الحكومة ، غير ان اتاتورك تلقى السلاح من روسيا السوفياتية وأسس مراكز جديدة للجيش لدرجة انه استطاع دحر اليونان فى أزمير سنة ١٩٢٢ بعد أن دعمته روسيا ·

شهدت مدينة مرعش حوادث شغب · لم تساعد فرنسا على ايقـــاف نزيف الدم الأرمنى على يد الأتراك · قاومت مرعش ببسالة حتى الاتفـاقية التى جرت بين فرنسا وتركيا حيث بموجبها استطاع سكان مرعش الأرمن مغادرة المدينة والتوجه الى حلب ·

اتخذت فرنسا فى قرية حجن ذات الموقف الذى سبق أن اتخذته بالنسبة لمرعش · وجود فرنسا التى احتلت كيليكيا بعد الحرب العالمية الأولى ، كان وجود رمزيا · رأت كيف أن الأرمن يواجهون العـــذاب والموت ولم تتخـذ فرنسا أى موقف ايجابى بل كانت مشاهدة تصفق لذلك الأسد الذى كان ينحر على مسرح تركيا !

استطاعت حجن أيضا أن تسجل فى تاريخ الأرمن المجيد صفحة كتبت بالدم والعرق والمجد · ثلاثون ألف عسكرى من جنود مصطفى كمال خسروا معركتهم أمام ستمائة أرمنى · عندما رأت فرنسا موقف الأرمن وشجاعتهم ، انحازت لهم · لكن جيوش مصطفى كمال كانت أقوى من الفرنسيين · استطاعت تركيا ، بعد أن اتخذت صبغة علمانية أن تطرد الفرنسيين من كيليكيا نهائيا سنة ١٩٢٢ · رأت فرنسا وهى تنسحب كيف أحرق علمها ودنست مقابرها · خرجت من كيليكيا منحنية الرأس · ربما فكرت انها لو كانت اتخذت سياسة واقعية أكثر لكانت غيرت خريطة الشرق بأكملها خصوصا وان الأرمن هـــم سكان تلك المناطق ·

٢ ـ الأرمن على جبهة القوقاس :

فى الوقت الذى كانت كيليكيا تنزف الدم ، كان الأرمن (٣٠٠ ألف) يقاتلون على الجبهة الشرقية ، فى القوقاس جنبا الى جنب مع الروس · رأينا

كيف أن الأرمن المتطوعين أحرزوا انتصارات عديدة فى الجيش الروسى وكيف انهم أنقذوا الأرمن من المذابح المكررة (فان) ٠

أما على الصعيد السياسى ، اجتمع أعيان الأرمن فى تفليس ، عاصمة جيورجيا لتأليف مجلس شعب يرعى أمور الأرمن ٠ برزت خلافات بين الأرمن وشعوب القوقاس خصوصا بعد الاستيلاء على باطوم من قبل الجيش التركى ٠

لم يبق الأرمن باخلاص سكان القوقاس (جيورجيا واذربجان) ومن ناحية أخرى كسر الخوف على الخط الأرمنى الممتد من كارس شمالا حتى بتليس جنوبا ٠ سلم القائد الارمنى توماس نزار بكيان الى انترانيك مهمة الحفاظ على مدينة ارزروم المهمة لكن لم ير انترانيك الا الفوضى فى ارزروم : عصيان الروس وخيانة الجيورجيين فاضطر الى الانسحاب بعد أن أنقذ سكانها الأرمن٠

بهذا الانسحاب فتحت الأبواب أمام الزحف التركى ٠ سقطت ارزروم ويرزنكا وسريكميش وتوصل الأتراك الى مدينة الكسندرو بول (لينيناكان)٠ علم القائد الأرمنى توماس ان هناك خدعة من حاكم السايم (جيورجيا) ببيع كارس وارضهان الى الأتراك وأخذ نهر اخوريان كحدود بين القوقاس وتركيا ٠

دخلت تركيا بلاد الارمن ٠ لم ير سكان ارمينيا أى مفر الا المواجهة ، فتجمعوا فى يريفان تحت قيادة القائد سيليكيان ، وبمعاونة القائدين انترانيك وترو ، واستطاعوا دحر الأتراك فى موقعة سارداراباد الشهيرة فى ٢٨ مايو/آيار ١٩١٨ ٠ كان هذا التاريخ أول يوم استقلال ارمينيا ٠

٣ ـ ارمينيا جمهورية مستقلة :

بعد أن نالت أذربيجان وجيورجيا الاستقلال ، حصلت ارمينيا أيضا على مبتغاها ٠ ففى ٢٨ مايو/آيار سنة ١٩١٨ أعلنت ارمينيا جمهورية مستقلة وتألف المجلس القومى وكان أكثرية أعضائه من حزب الطاشناك ودعى هوفهانيس كاتشازنونى لتأليف الحكومة ٠

لكن هذه الجمهورية لم تعمر كثيرا رغم جميع المحاولات لاحيائها ٠ أرسلت ارمينيا الأديب افيديس اهارونيان للتفاوض مع بلاد الغرب وابرام المعاهدات ، بدأت باصلاح الحياة الاجتماعية فى ارمينيا ، لكن ثمة عقبات أوقفت مسيرة هذه الحكومة الشابة ٠ من الداخل ، لم تكن ارمينيا آهلة

للحفاظ على استقلالها . فحالتها الاقتصادية يرثى لها حيث المجاعة والأمراض التى ازدادت بعد نزوح الأرمن من تركيا اليها . أما فى الخارج ، فلم تسكت جيورجيا على حقوقها . طالبت بضم مقاطعة لورى واخالكلاك اليهـــا . ومن ناحية أخرى أيضا احتل الأتراك كارس وارضهان . وفى مثل هذه الظروف القاسية لم ينس الأرمن جروحهم . ومن ضمن الخلافات والصراعات صعب على أرمن ولايات تركيا الشرقية التعايش مع ارمن سكان القوقاس وارمينيا . انسحب الأعضاء غير الطاشناك من الحكومة ، فألف خاديسيان حـــكومة من حزب الطاشناك .

فى هذه الأحوال تكونت شبه « حكومة » ارمنية فى المنفى يرأســـها نوبار باشا ، حاولت استقطاب عطف أوروبا . وكان هناك أيضا وفى نفس الوقت لجنة موفدة من حـــكومة أرمينيا برئاسة اهارونيان . لم تتفق هاتان اللجناتان . وفيما كانتا فى خلافاتها احتلت الحكومة التترية فى ازربجـــان مقاطعة غراباغ الأرمنية .

مرت الأيام على معاهدة وقف اطلاق النار بين المحـــاربين بعد الحرب العالمية ، كان ولابد أن يتحول وقف اطلاق النار الى معاهدة صلح بين الأطراف المتنازعة ، خصوصا بعد سقوط الامبراطـــورية الروسية ، حيث لم تعترف روسيا السوفياتية بمعاهداتها .

عقد فى سيفر معاهدة صلح بين الدول المتنـــازعة ودعيت ارمينيـــا للحضور . أعلن ويلسن رئيس جمهورية أميركا عن مشروعه الجـــديد حيث بموجبه ستنضم ارزروم وطرابزون حتى فان جنوبا الى جمهـــورية ارمينيا . لكن مشروعه بقى على الخريطة المعلقة على حائط المؤتمر . لغى مؤتمر لوزان ١٩٢٣ فيما بعد ، قرارات مؤتمر سيفر .

فى الفصل القادم ستتيح لنا الفرصـــة أن نتكلم عن سقوط جمهورية ارمينيا وتحولها الى ارمينيا السوفياتية .

القسم الثاني عشر :

أرمينيا السوفياتية

١ ـ جغرافيا :

تقع ارمينيا السوفياتية الاشتراكية في القسم الجنوبي من سلسلة جبال القفقاس ، وتحدها من الشمال والشرق جمهوريتا جيورجيا واذربيجان السوفياتيتان ، ومن الغرب والجنوب الشرقي تركيا وايران · وتقع معظم أراضي أرمينيا على ارتفاع يزيد عن ألف متر فوق سطح البحر ، وأعلى قمة فيها هي قمة جبل اراكادز (٤٠٩٥ م) ·
ويتميز العالم النباتي في ارمينيا بالتنوع الشديد ، فنجد النبتات الخضراء منتشرة في شتى مناطق سهل ارارات · وتمثل الغابات عشر مساحة أراضيها وهي تقل في الجنوب وتكثر في الشمال ·

وباطن أراضي ارمينيا غني بالمعادن حيث يتوفر النحاس والالومنيوم والرصاص والزنك والزئبق والذهب والفضة والحديد والكروم · وتشتهر ارمينيا بمواد البناء الطبيعية ذات الخواص المدهشة ، كحجر الدوف على اختلاف ألوانه ، والبازلت والجرانيت والرخام وهو مشهور بجمال ألوانه وعروقه ·

في ارمينيا أكثر من ألف ينبوع للمياه المعدنية التي تختلف من حيث التركيب الكيمائي ودرجة الحرارة والخواص العلاجية · وشيدت على اساسها عدة مصحات في مختلف أنحاء ارمينيا · وتعبأ هذه المياه بكميات ضخمة وتصدر الى بلدان عديدة ·

عاصمة أرمينيا يريفان (مليون نسمة تقريبا) مدينة قديمة شيدت منذ ٢٧٥٠ عاما وكانت تدعى يريبوني · وهي اليوم مدينة عصرية وضع تخطيطها المعماري البارز الكسندر تامانيان وهي مركز صناعي وعلمي وثقافي وأجمل مدن الاتحاد السوفياتي · وهناك أيضا مدن كبيرة: لينيناكان ، كيروفاكان ، هرازتان ، ابوفيان ···

٢ ـ التاريخ :

عايش الشعب الارمني نعم الرقي والانحطاط والهزائم ، وشاهدت البلاد قيام وانهيار امبراطوريات عظيمة كالكلدان والآشوريين والحيثيين . وبموجب وجودها على ملتقى الطرق بين الشرق والغرب ، لعبت ارمينيا في مختلف العصور دورا هاما في التبادل الدولي . ولكنها كانت في الوقت ذاته عرضة للنزاع بين دول الشرق والغرب ، حتى ان الشعب الارمني كان يجد نفسا مرغما على خوض النضال المرير من أجل الدفاع عن كيانه واستقلاله وثقافته العريقة .

بعد سقوط الجمهورية الارمنية المستقلة ، تحققت ثانية أحلام الشعب الارمني للعيش في ظلال الوطن بعد انتصار وتوطيد النظام السوفياتي في نوفمبر ـ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ .

أصبحت آرمينيا دولة شيوعية وانضمت الى جمهوريات الاتحاد السوفياتي بعد الانقلابات الجذرية التي طرأت على بلاد القوقاس . ثمة شباب من طلاب موسكو وسان بترسبورج (لينينجراد) تحمسوا لافكار كارل ماركس ولينين وانخرطوا في صفوف الشيوعيين وعندما سقطت الامبراطورية التسارية ، عين هؤلاء الشباب ، ومن ضمنهم اناستاس ميكويان الذى أصبح فيما بعد رئيسا للاتحاد السوفياتي الشاب ستيبان شوهوميان وقاموا بنشاط خفي في اعداد الشباب للقيام بثورة لقلب النظام الروسي وجر ارمينيا الى اقتباس النظرية الاشتراكية الشيوعية .

لكن هذه السياسة وهذا المخطط الشيوعي في التغلغل أيقظا حكام ارمينيا فراحوا يسجنون وينفون كل من كان عرضة للشك .

ويجب القول ان معظم هؤلاء الشيوعيون الارمن نهجوا طريق الشيوعية اعتقادا ان هذه الثورة ستدحر الاتراك والتتر نهائيا من ارمينيا وان الحكم فيها بقيادة حزب الطشناق غير قادر على ذلك .

ففي هذه الاجواء المحمومة ، سقطت اذيبجان في أيدى الشيوعيين ، فذهب **لغون شانط** الى موسكو للتفاوض ولتدعيم علاقات حسن الجوار معها . غير أن شيوعي اذربجان لم يقدموا تقريرا يناسب الاوضاع في ارمينيا ، لا بل طعنوا في حق الارمن ، مما سبب الغاء جميع المعاهدات بين الارمن والروس .

استقال **هامو اوهانتشانيان** من رئاسة الوزارة المكونة من حزب الطشناك ، بسبب الحرب الفاشلة بين الأرمن والاتراك وعين مكانه سيمون فراتسيان الذى ضم الى وزارته أعضاء من الحزب الاشتراكي الشيوعي . تفاقمت العلاقة بين الحزبين وبقي الشعب الارمني في حيرة . فادعى

حزب الطشناك أن لو أصبحت أرمينيا شيوعية فلن تلق مساعدة من أوروبا أو من أميركا ، أم الحزب الشيوعي ضمن انسحاب الاتراك من حدود ارمينيا عندما تصبح ارمينيا شيوعية .

لكن النفوذ الشيوعي كان أقوى ، فطلب المكتب المركزى استقالة الحكومة ، وأعطى الجنرال ترو فرصة لتسليم الحكومة للشيوعيين شرط أن لا يمسوا بأذى أعضاء ومحبذى حزب الطشناك ففى ٤ ديسمبر/كانون الاول أنزل علم ارمينيا وصعد مكانه العلم الاحمر وعين **كاسيان** رئيسا لقيادة الثورة .

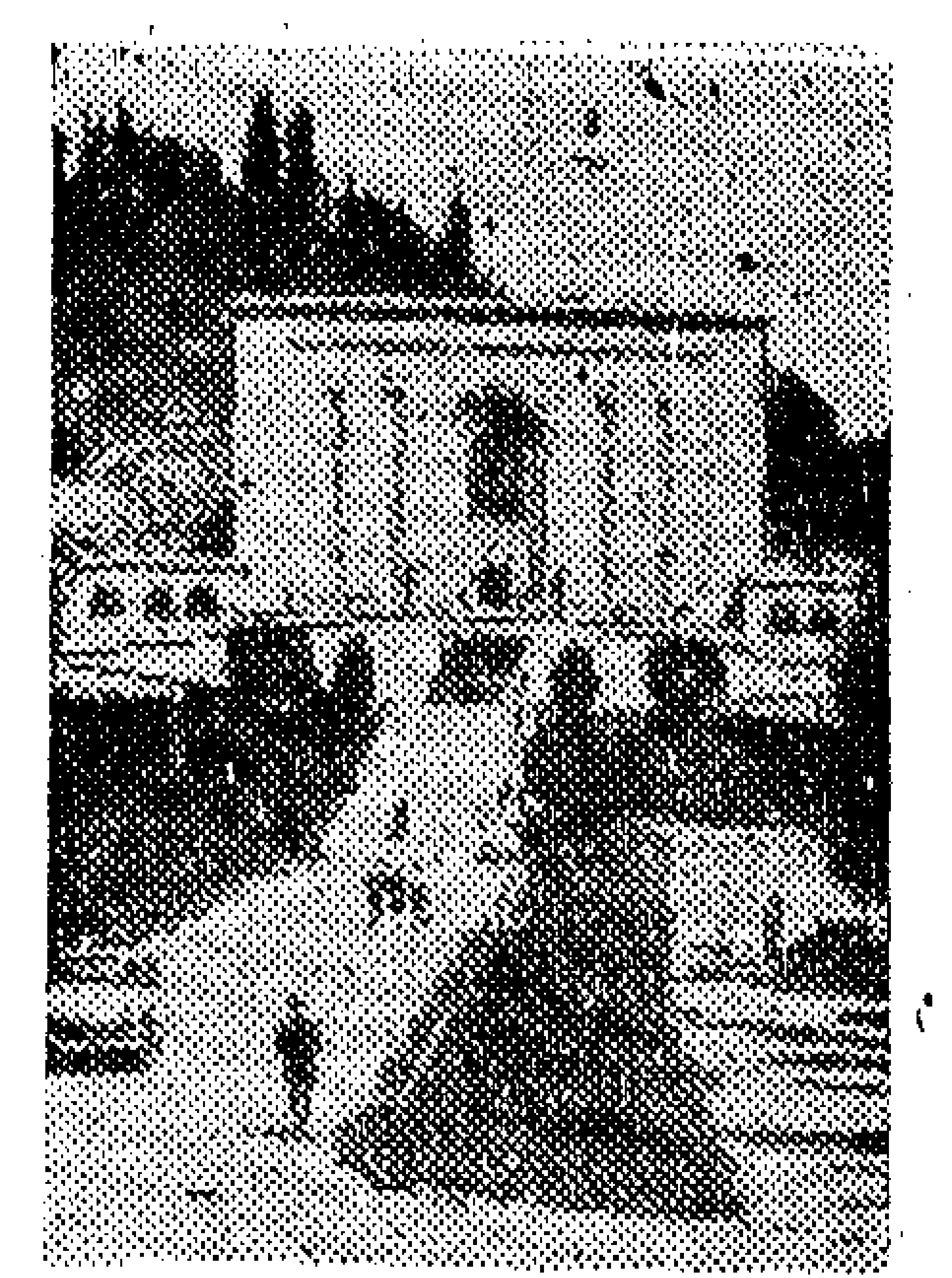
لو كان الشعب الارمنى رضخ للامر الواقع الشيوعى فى شهر مايو لما كانت اهرقت دماء الارمنى ولما كانت وقعت مدن كارس وارضهان فى قبضة اتاتورك .

وسرعان ما مسك سركيس كاسيان زمام الحكم ، حتى بدأ بثورة جديدة فى البلاد . أعلن أن حزب الطشناك معاديا للأمة ، فأغلقت مكاتبه وسجن أعضاءه البارزين ، أمم المدارس ، طهر الجيش بعد أن استدعى لقيادته أعضاء من الجيش الاحمر ، وضع ارزاق الكنائس تحت سيطرة الدولة ، جمع غلة الفلاحين لمساعدة الجيش الاحمر فنتجت عنه عداوة بين الفلاحين الارمن والجيش الاحمر .

لم يفلح كاسيان بسياسته . أعلن حزب الطشناك عصيانا مدنيا وتبعه الشعب ، فاحتل مكاتب الحزب الشيوعى وأضرم نار الثورة فى جميع أنحاء آرمينيا (١٨ فبراير/شباط ١٩٢١) واستلم الحكومة سيمون فراتسيان أملا بمساعدة الغرب له . لكن نفوذ الجيش الاحمر كان أقوى فاسترد الحكم فى حزب الطشناك ووضع على رأس الحكومة **الكسندر مياسنيكيان** ، رجلا متزنا وطنيا مثاليا أراد أن يضمد جروح شعبه . فطلب من موسكو عودة المنفيين وأطلق سراح المسجونين السياسيين وكان بعلاقة طيبة مع موسكو ومع لينين ، فطلب منهما انشاء دولة آتحادية مكونة من ارمينيا عاصمتها يريفان ، واذربيجان عاصمتها باكو وجورجيا عاصمتها كوتايس ، على أن تكون تفليس العاصمة الاتحادية ، غير ان الجيورجيين غدروا به والقوه من الطائرة .

تحسنت الامور رويدا رويدا ، وبدأ الأرمن فى التعمير حتى الحرب العالمية الثانية . شارك الارمن فى الحرب مشاركة فعالة . هذا وقد حصل الالوف من المقاتلين الارمن على لقب « بطل » واستشهد زهاء سبعون ألفا على مختلف الجهات السوفياتية ومن أشهر قواد الارمن ايفان آيساهاكيان وهونانيس بغرامان ، كما أن جيش تامانيان الارمنى هو الذى دخل برلين « احتلها » .

٣ ـ الازدهار :


مبنى الماديناتاران

سجلت ارمينيا خلال خمسين عاما نجاحا لا مثيل له فى تطوير الاقتصاد والتعليم والعلوم والثقافة ، فأصبحت جمهورية ذات صناعة راقيــة وزراعة مزدهرة ٠

أ ـ كان الاقتصاد فى ارمينيا فى حالة تدهور شديد ٠ واليوم تنتج صناعة ارمينيا خلال يوم واحد انتاجا يعادل ما أعطته عام ١٩١٣ بأكمله ٠ وتنتج المحطات الكهربائية أكثر من ستة مليارات كيلواط ـ ساعة من من أضخم مكتبات الاتحاد السوفياتى الكهرباء سنويا ، أى ثلاثة أضعاف ما انتج من الكهرباء فى روسـيا القيصرية كلها خلال عام ١٩١٣ ٠

قبل عشرين عاما كانت الصناعة تقتصر على عشر مدن فقط ، اما الان فتتوزع شتى فروع الصناعة عـلى ستة وخمسين مركـزا ٠ وتصـدر منتجاتها الصناعية والزراعيـة الى ارمينيـا أكثر من ١٦٠ نوعـا من كافة الجمهوريات السوفياتية والى ٨٠ بلدا فى العالم وتشترك فى معظـم الاسواق العالمية ٠

ب ـ وليس قليل الاهمية النجـاح فى انماء وتطوير الزراعة ٠

كما وساعد التقـدم التكنولوجى الفلاحين والمزارعين لاحراز النجـاح الملموس فى دخلهم السنوى ٠

لفتت الفواكه خصـوصا العنب الانظار بجودة نوعيتهـا ٠ وتشتهر ارمينيا بصناعة النبيـذ ومحفوظات الفواكه والمعلبات ٠

ج ـ وفى المجال المعمارى ، ترتبط أعمـال تنمية الاقتصاد والثقـافة وتحسين ظروف الحياة الحاضرة بأعمال البناء والاعمار لدرجة كبيرة ٠ فنصف اعتمادات الـدولة يخصص تقريبـا لتطوير الصناعة ، أى بناء المصـانع والفبارك والمحطات الكهربائية وحفر المناجم ٠

ولا يبخل المعماريون الارمن جهدا لاعمار الوطن ٠ عشاق الاثار القديمة يدهشون لفن العمارة الرائـع فى ارمينيا ٠ اما البناء فى العصر الحاضر فخير شاهد عليه مجموعة سيفان ـ هرازدان للطـاقة والرى ومشروع تحويل نهر أربا الجبلى الى بحـيرة سيفان لصيانة منسوب مياهها ٠

وأهم انتاج صناعى يلفت النظر هو تحويل الصـخر الى ٠٠٠ خيـوط للنسيج ٠

لقد مر أكثر من نصف قرن وارمينيا لا تزال تشيد وتعمر بدون انقطاع وتحولت ارمينيا الى ميدان ضخم للبناء ، حتى بات يخيل لك ان ارمينيا ترغب فى استعادة ما فقدته طوال قرون عديدة وفى بناء وانشاء ما قضى عليه الدهر وغزوات الفاتحين الاجانب .

يوجد فى ارمينيا ١٣ معهدا للتعليم ومن قبل كانت اتشميادزين المعهد الوحيد فى ارمينيا لتعليم الطبقة العالية والرهبان .

أما اليوم فهناك أكثر من ٥٠٠ مؤسسة .

وجامعة يريفان هى أكبر مؤسسة للتعليم العالى، تأسست سنة ١٩٢٠ . يعمل فيها اليوم ٧٤٠ معلم ، معظمهم بالقاب علمية . وهى فى الوقت ذاته مؤسسة كبرى للابحاث العلمية وفيها عشرات المختبرات والمراكز العلمية يتخرج منها سنويا أكثر من ألفى طالب بخمسين اختصاص .

والمؤسسة التعليمية الكبرى الثانية فى ارمينيا هى معهد كارل ماركس البوليتكنيكى ، الذى يتعلم فيه أكثر من ٢٠ الف طالب يتخصصون فى فروع الهندسة المعمارية والميكانيكية والكهربائية والجيولوجية والكيمائية والالات الاتوماتيكية وهندسة التحكم عن بعد . وللمعهد فروع فى مدينتى لينيناكان وكيروفاكان وكذلك فى أضخم مؤسسة صناعية فى ارمينيا وهى مصنع لينين للالات الكهربائية فى يريفان .

وفى ارمينيا أربعة معاهد عليا للمعلمين ، ومعهدان عاليان للزراعة والطب البيطرى يتخرج منهما عدد من المهندسين ، اختصاصيون فى الزراعة وتجويد التربية وهندسة الرى . وفى الجمهورية معهد للطب وآخر للرياضة والتربية البدنية ومعهد الكونسيرفاتوار ومعهد الفنون الجميلة . ويواصل ما بين ١٢٠ و ١٣٠ شخصا من خريجى هذه المعاهد كل سنة تخصصهم فى هيئة الاعادة لدى المعاهد العليا ومعاهد الابحاث العملية .

ولقد أحرز علماء الارمن نجاحا بارزا فى ميادين الفيزياء النظرية للجزئيات الالكترونية والرياضيات وتكنيك الحسابات الالكترونية وتأثير الاشعة البيولوجى . كما ويتمتع مرصد بيوراكان بشهرة عالمية واسعة ، ذلك المرصد الذى أسسه ولا يزال يشرف على اعماله أحد أشهر علماء الفلك فى العالم الاكاديمى **فيكتور همبارتسوميان** العضو الفخرى فى اكديميات العلوم والجمعيات الفلكية فى بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والمانيا وكندا ويشغل الان منصب رئيس الجمعية الدولية للمنظمات العلمية .

وعلى الصعيد العلمى بادر العالم ارتيوم اليخانيان فى تأسيس مركز علمى لدراسة الاشعة الكونية .

٤ ـ يرجع تاريخ نشاة المسرح في ارمينيا الى أكثر من ألفي سنة · الا أن الفن المسرحي لشعبنا قد تطـوروأكتمل ووصل الى القمة في العهـد السوفياتي · هذا وتبنى مسـارح الدولة واحدا بعد الاخر، كما ويزدهر نشاط هواة الفن الشعبي ازدهارا لاسابق له· وفي ارمينيا حاليا مسرحان اكاديميـان استحقا الاوسـمة السوفياتية وهما مسرح صندوكيـان الدرامي ومسرح سباندياريان للاوبرا والباليه ومسارح دراماتيكية يوميـة كمسرح ستانيسـلافسكي الـدرامي الروسي والمسرح الاذربيجاني الدرامي والمسارح الموسيقية ومسرح العرائس ومسرح المتفرج الحدث ، أضف الى ذلك أكثر من عشرة مسارح محترفة وحوالى ثلاثين فرقة مسرحية شعبية تقـوم بعرض المسرحيات في مختلف مـدن وقرى ارمينيا ·

أما الفن السينمائى الارمنى فقـد نشأ بعد قيام الحكم السوفياتي فقط · وفي جمهوريتنا الان ستوديو « هاى فلم » للافلام الفنية وآخر للافـلام الوثائقية والاعلامية · وقد ازدهرت شؤون الطباعة والنشر أيضا في ظل الحكم السوفياتي · ففي عام ١٩٢٠ صدر في ارمينيا ٢٢ كتابا وكراسا فقط · أما الان فيصدر كـل سنة أكثر من ألف كتـاب بعشرة ملايين نسخة و ٦٩ جريدة باللغات الارمنية بحوالى ٢١٠ ملايين نسخة سـنويا بالاضافة الى مائة مجلة تنشر سنويا بالروسـية والاذربيجانية والـكردية بـ ١٥٠ مليون نسخة · وخلال أعوام الحكم السوفياتي تأسست في ارمينيا الاف المكتبات العامة تحوى أرصدتها أكثر من ٣٠ مليون كتاب ، ومئات الاندية وقصور الثقـافة والمتـاحف وحدائق الراحـة والثقـافة ودور السينما · وغنى عن القول ان الحكومة هي التي تتحمل جميع نفقات صيانة هذه المؤسسات التثقيفية ـ التربوية ·

ولا نستطيع غض النظر عن ذكرى عـلامة الموسـيقى الحـديثة **ارام خاتشادوريان** الذى توفى ف ٧ مايو/آيار ١٩٧٨ وهو في ٧٥ من عمره · وهو مؤلف وملحن وموسيقار عـالمي ومن أشهر مؤلفاته « رقصة السيف » و « جايانه » وكنتاتا عن السد العالي ·

وفي ارمينيا أيضا جيش من الكتاب والشعراء ومن المعروف أن كل عائلة ارمنية لها مكتبتهـا ويعرف الارمني بتعلقه بالثقـافة ، مـولع بالموسيقى ويحب المطالعة ·

أما عـلى صعيد الرياضة أيضـا ، فالحكومة تشجع المدارس على ممارسة الرياضة في شتى أنواعهـا · وفي سبيل الذكرى فقد فاز نادى ارارات الرياضي لكرة القدم ببطـولة الكأس والدورى العام في الاتحاد السوفياتي في سنة واحدة ·



فلو لم تكن بعض القيود على الاسترداد والتصدير ، ولو أطلقت يد الارمني بحرية أكثر لكانت أرمينيامن أرقى دول العالم ٠

فالنظام الحاكم في ارمينيا (وهو اشتراكي) وان له عثرات وسلبيات في مجال الاقتصاد الحر ، غير انه ساهم في اعطاء ارمينيا حلة جديدة بعد النكبات التي حلت بشعبه ٠

نموذج من الفن المعماري



٤ ــ اتشميادزين = الكنيسة الأرمنية

تعتبر الكنيسة الارمنية ، منذ القدم ، محور الحياة الارمنية في شتى المجالات : الدينية ، التربوية، العلمية وحتى السياسية والاقتصادية ٠

كان للكنيسة الأرمينية أرزاق لا تحصى وأديرة كثيرة جندت خدمة الكنيسة ومبشريها ، فبسطت سيطرتها الروحية على الادب ودخلت بلاط الملوك ، فأتت الثقافة الارمنية ، واصطبغت ، على مدى الاجيال بالطابع الديني البحت ٠

وبعد أن استقر الكرسي البطريركي (كاثوليكوسية) في ارمينيا سنة ١٤٤١ بعد أن كان في كيليكيا ، ضعفت سيطرته ، خصوصا عندما

احتل العثمانيون اسطمبول ونصبوا بطريركا جديدا عليها • لكن اتشميادزين ، الكرسي البطريركي في ارمينيا ، احتفظ بشرعيته ومال الى خدمة الشعب الارمني في ارمينيا وبلاد القوقاس ، تاركا ادارة شؤون الارمن الموجودين خارجها ، لكرسي اسطمبول ، أما رعايا الارمن من بقايا مملكة كيليكيا ، فكانوا يخضعون لبطريرك كيليكيا (كرسي سيس) الذي كان قد رفض العودة الى ارمينيا سنة ١٤٤١ ، فحصل الانشقاق وما زال قائما : كرسي **اتشميادزين** في ارمينيا ويتبعه الارمن في الاتحاد السوفياتي ، وكندا وقسم كبير من الولايات المتحدة ، واميركا اللاتينية ، وقسم كبير في أوروبا الغربية ، أوروبا الشرقية ، مصر واليونان ، والعراق **وكرسي كيليكيا (سيس)** ويتبعه الارمن الموجودين في لبنان وسوريا وقبرص وايران ومركزه الحالي في انطلياس بلبنان •

بالرغم من وجود هذين الكرسيين الكبيرين ، وبالرغم من وجود كرسيين آخرين هما بطريرك أورشليم والقدس ، فأنظار الجميع متجهة نحو اتشميادزين ، المنارة الروحية لجميع الارمن ، حيث تقع في ارمينيا ولها تاريخ عريق •

يسترد كرسي اتشميادزين رويدا رويدا مكانه في قلب الشعب الارمني بعد أن فقده في عهد ستالين• ويجلس حاليا على كرسي اتشميادزين الكاتوليكوس فاسكين الاول منذ سنة ١٩٥٥ • أسس فاسكين الاول عددا من الابرشيات ، وقام بزيارات ذات طابع مسكوني لتوطيد أواصر الوفاق بين مختلف الكنائس ، اشترك في مؤتمرات عديدة ، نظم التكوين الديني للمبشرين والكهنة الارمن ، فأصبح فاسكين الاول من ابرز الشخصيات الارمنية واسترد بنزاهته وشخصيته وحسن سيرته وثقافته امجاد اسلافه البطاركة •

القسم الثالث عشر :

الأرمن اليوم

١ ـ الارمن في لبنان :

بعد هدنة عام ١٩١٨ واثر وقوع لبنان تحت سيطرة الحلفاء ، شكلت فى لبنان لجنة أرمنية حملت اسم « الاتحاد الوطنى الأرمنى ضمت الطوائف الارمنية بالاضافة الى حزبى الطاشناك والهانشاك وعين الدكتور ملكونيان رئيسا لها منذ عام ١٩١٩ والاب بول عريس أمينا عاما ٠

المركز المنطلق

ولتسهيل مهمة هذا الاتحاد وتحريك أعماله المصيرية الهـامة أنشأ الوكيل البطريركى كبير الكهنة جـاك نسيميان مركزا كبيرا يضم قاعـة اجتماعات لجميع المنظمات الأرمنية ، ومكانا للاحتفالات والاستقبالات الهامة ٠

وكان من أهم أهداف الاتحاد اتمام الأعمال التالية :

ـ تحويل اللاجئين الأرمن الذين انتقلوا الى البـلاد العربية (فلسطين سوريا ـ مصر) الى لبنان ٠

ـ اقامة مخيمات الايواء ٠

ـ استقبال وفود اللاجئين مؤقتا فى بعض بنايات بيروت ٠

ـ الحصول على أرض واسعة لتحويلها الى مخيم ٠

ـ الاهتمام باللاجئين من حيث التغذية والعناية لارسالهم الى مكان آخر فور توفر وسائل النقل ·

مخيمات في بيروت

وتمكنت مخيمات بيروت عام ١٩١٩ من استيعاب حوالى ٥٠ الى ٦٠ ألف أرمنى (هذا الرقم وحده كاف لاعطاء صورة عن العمال الجبار والمرهق الذى قام به الاتحاد) ·

بالاضافة الى تأمين المكان ، كان على المسؤولين فى الاتحـــاد استقبال الحشود التى تصل من الصحراء العربية أو من حوران بصورة توحى بالكثير من البؤس لأنهم بأمس الحاجة الى تغذية وتطبيب · وكساء ومؤوى بالاضافة الى تنظيم معاملاتهم وابحارهم عندما يحين الوقت ·

المصادرة التركية

فى تلك الأثناء خلال الحرب الكبرى كانت الحكومة التركية قد أممت الأرض التى توجد عليها حاليا الكنيسة الغريغورية (سورب نيشان) وبدأت فى بناء السجن المركزى ·

فقام الغريغوريون الأرمن بعد الهدنة بمساع كبيرة لدى المفوضية العليا الفرنسية لاعادة الأراضى المؤممة ولكنها كانت ترفض دائما اعادتها ·

فتدخل الاب نسيميان الوكيل البطريركى للأرمن الكاثوليك والدكتور ملكونيان وتوجها الى « جورج بيكو » وتمكنا من الحصول على قرار منه باعادة الأراضى المصادرة وعلى الأثر بوشر بافتتاح المدارس فى بيروت على مراحل كان أولها مدرسة مخيم مار ميخائيل ثم مدرسة القديس غريغوار فى الأشرفية التى كان لها أثرها الكبير فى تأمين العلم للأرمن (وهى لا تزال الى اليوم من أهم المدارس) ومدرسة « سورب نيشان » ·

وخصصت منح عديدة للطـــلاب الأرمن الراغبين فى التخصص بالطب وغيره من المجالات ·

وحدث أن سافر الأب بول عريس مرتين الى كيليكيا لدراسة أحـــوال الرعايا هناك وتوزيع الاعانات التى قدمتها مؤسسة الطيب الأحمر الأرمنى فى أميركا ·

لكن مع انطلاق الحركة « الكمالية » ازداد عمل الاتحاد صعوبة ، وتأزم الوضع . فأصبح أمامه تجهيز المتطوعين وتنشيط المساعدات المالية .

فما لبث أن سافر الاب غبريال كسباريان رئيس الاتحاد الوطني الأرمني في حلب الى اليونان تلبية لهذا الغرض وتمكن من الحصول على أربعة آلاف بندقية حربية ومليون ونصف طلقة وكمية كبيرة من الألبسة وغيرها من الاعتدة العسكرية وأرسل كل ذلك الى كيليكيا .

وأنزلت هذه الأسلحة في منطقة قريبة من « دورت يول » واستخدمت في تسليح منطقة « دورت يول » وجبل موسى وكساب وهكذا وبفضل هذه الأسلحة كافح الأهالي الأرمن بشجاعة وبسالة وعلى رأسهم النائب السابق دركالوسيان ودخلوا المواجهة وتمكنوا من تخفيف الضغوط التي كان يمارسها الاتراك على الأراضي الباقية من كيليكيا . حتى أفرج عن العديد من الاسرى والمتحتجزين الأرمن بفضل المساعي التي كانت ترافق الأعياد كالرابع عشر من تموز وغيرها من الأعياد الهامة .

وقد تطلبت هذه النشاطات بطبيعة الحال المساعي العديدة والتنظيم الدقيق ومما يذكر انه نظم جهاز خاص للمراسلة الذي كان يشرف على تحرير آلاف الرسائل (بمعدل عشرين رسالة يوميا) الى أطراف العالم .

الاحتلال الفرنسي لكيليكيا

رفض المفوض السامي الجنرال غورو عام ١٢٩٢ السماح للأرمن بالتوجه الى البلاد الواقعة تحت الانتداب بعد احتلال الجيش الفرنسي لكيليكيا وأصر غورو على بقاء الأرمن في تركيا .

ولم يعد أمام الدكتور ملكونيان الا السعي مع الاب نسيميان بالتوجه الى جميع رؤساء الطوائف المسيحية في لبنان وبنوع خاص الى البطريرك الحويك الذي أقنع الجنرال غورو بالسماح لهم بالتوجه الى لبنان وسوريا محققا بذلك أهم خطوة في تاريخ الارمن في لبنان حيث وفد اليه حينئذ حوالي ١٥٠ ألف ارمني أعطوا الملجأ والوطن .

وقد وصلت هذه الأعداد الكثيفة بحالة من البؤس يصعب وصفها .

ويصف الفرنسي « بول دي فيو » حالة هؤلاء بقوله :

« يحفظ بحارتنا الذين نقلوا الى لبنان فى كانون فى عام ١٩٢١ الذكرى الأليمو لحالة هؤلاء البؤساء الذين نزحوا من أرضهم فى كيليكيا دون الاحتفاظ بشىء من ثروتهم •

وصل اللاجئون بالآف عن طريق خليج بيروت (المرفأ) فبقى ٣٥ ألفا فى بيروت امتدوا على طول سكة الحديد • بينما توزع ١٢ ألفا فى الجبال •

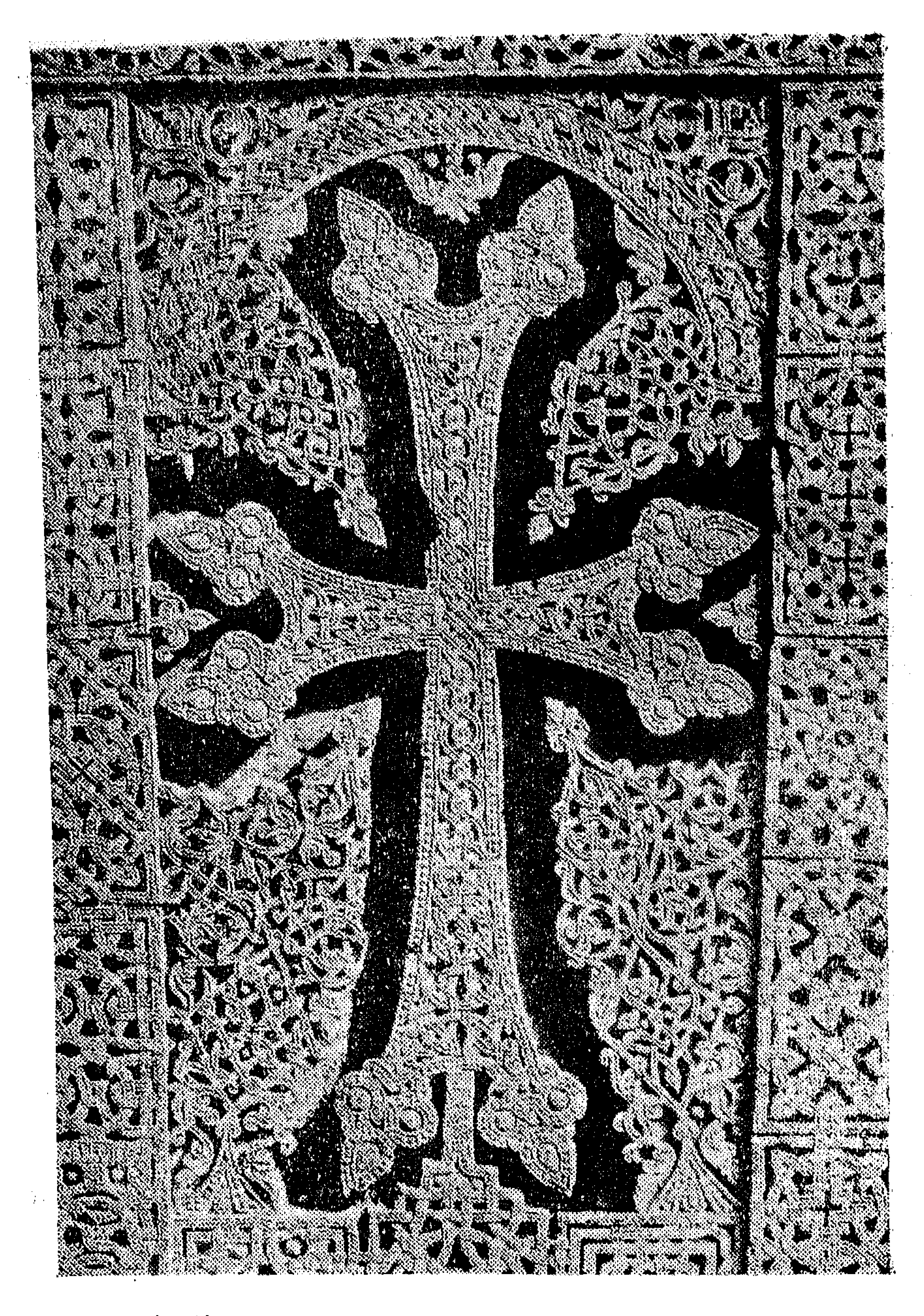
وعندما وصل السيد دوجوفنيل الى لبنان فى خريف ١٩٢٥ تأثر جدا

لحالة البؤس التى كان يعانيها هؤلاء واهتم بهم وحاول ايجاد المركز النابت اللائق بهم انسانيا •

وكان من الضرورى تأمين الخدمات اللازمة لتحسين أوضاعهم وهكذا تمكن الدكتور ملكونيان من الحصول على أرض واسعة واقعة على ملكية السيد نجيب تيان شرقى محطة الترام (شركة كهرباء لبنان) انيوم ، وحيث تمركز الأرمن لسنوات وأوكلت ادارة هذه المخيمات الى الأب بول عريس الذى كان قد كرس كل وقته منذ ١٩٢٢ — ١٩٢٣ فى تخفيف البؤس الذى أحاط باللاجئين عن طريق توزيع الأغذية والكساء والأدوية وجر المياه وضبط الأمن •

هكذا قدم الأرمن الى لبنان قوافل قوافل واستقروا تحت الخيام وتحت منازل سقفها من التنك وفى المستنقعات لا يملكون ملبسا ولا مأوى ، معرضين للأمراض والمجاعة • استضافهم اللبنانيون وقسموا معهم الخبز ، خرجوا بعد ذلك من المستنقعات الى منازل أفضل وسرعان ما مرت عشرة أعوام حتى بدأ الأرمن يتمتعون بالاستقرار والطمأنينة • بعد الخمسينات شكل الأرمن ربع تجار بيروت ووصلوا الى مراكز مرموقة • حصلوا على مقاعد فى المجلس النيابى اللبنانى وعلى وزارة • وبعد الستينات انخرط الأرمن فى جميع المجالات الاقتصادية والفنية والعمرانية والاجتماعية •

للأرمن ستون مدرسة فى لبنان وأربع جرائد يومية وعشرون كنيسة علاوة على المستوصفات والنوادى الثقافية والرياضية ولهم برامج خاصة فى الاذاعة والتليفزيون • اشتهر أرمن لبنان فى الاقتصاد والتجارة والصناعة • معظم الورش المهنية تخصهم ، لهم ٣٠٪ من المحلات التجارية ، يشكلون ٤٠٪ من الصاغة ، ٤٥٪ من الفوتغرافيين ، ٤٠٪ من تجار الجلود ، ٣٠٪ من تجار الأقمشة ، ٣٥٪ من الميكانيكيين أما الأرمن فى لبنان لم يوازوا الـ ١٠٪ !



خاتشكار (صليب أرمني) عدسة المصور ماتوك اللبناني



الفلكلور الأرمنى اللبناني

أما في مجال الفن أيضـــا فللأرمن مكانتهم • الكونسرفتوار (المعهد الموسيقى اللبنانى) يشمل عددا كبـــيرا من الأساتذة الأرمن ، والفلكلور اللبنانى مدعم من عناصر ارمنية موهوبة ، كذلك فى الرسم والرياضة فللأرمن أهميتهم فى الحياة اللبنانية •

استوعبت بيروت أكثرية الأرمن النازحة من تركيا ، وخصوصا ضاحيتها برج حمور التى يرأسها مجلس بلدية معظمه من الأرمن • هناك أيضا مدن وقرى فيها نسبة كبيرة من الأرمن كطرابلس وجونيه وزغرتا وعنجر وزحلة وانطلياس • وفى لبنان مقر الكرسى البطريركى للأرمن الأرثوذكس والأرمن الكاثوليك وفيه دير بزمار الأرمنى المبنى سنة ١٧٤٩ والذى يحوى على متحف متسهور بمخطوطاته وتحفه • يشمل لبنان عـــلى نشاط جميع الاحـــزاب الأرمنية •

٢ ـ الأرمن فى سوريا :

تواجد الأرمن فى سوريا بعد مذابح سنة ١٩١٥ • كانت قوافل الأرمن النازحة من ديارها فى تركيا تصل الى حلب ورأس العين ودير الزور • الأرمن الذين استطاعوا الهروب والعيش فى الصحراء استقروا فى حلب ودمشق والجزيرة •

كما فى لبنان ، هكذا فى سوريا ، نشأت الحياة الأرمنية رويدا رويدا وتوصل الأرمن الى احتلال مراكز عديدة فى شتى المجالات • شيدوا فى مدن حلب ودمشق والقامشلى والحسـكة ودير الزور والـــرقة وكسب مدارسهم وكنائسهم ونواديهم ، وانخرطوا فى الصناعة والتجارة •

التطورات السياسية فى البلاد ضعفت امكانياتهم فعمدوا على الهجرة الى أميركا وكندا ولبنان •

٣ ـ الأرمن فى مصر :

الجالية الأرمنية فى مصر قديمة العهد • أتى الأرمن الى مصر بكثرة أيام الفاطميين • يقال ان بدر الدين جمال كبير قواد الفاطميين هو من أصل أرمنى اعتنق الاسلام فيما بعد • قدم الأرمن الى القاهرة ودخلوا فى مجال التجارة والهندسة وتعتبر بعض أبواب المدينة كباب زويلة وباب الفرج من صنعهم •

شهدت الجالية الأرمنية فى عهد محمد على ازدهارا مرموقا وحصلت على ضمانات توحى الى السلام والأخوة بعد المذابح التى حصلت من جراء حملة

نابوليون على مصر • توصل الأرمن الى المراكز الحكومية وحصلوا على ألقاب عديدة • اشتهر فيهم نوبار باشا ، هاكوب ارتين باشا ، وعائلات خيـــاط وأوغيا وهكيكيان وماتوسيان •

يوجد حاليا في مصر ١٣ كنيسة ومعبدا وخمس مدارس •

٤ ـ يوجد جاليات أرمنيـــة فى **العراق** يقطنون فى بغـــداد والبصرة وكركوك ، لهم مدارسهم وكنائسهم ويعملون فى التجارة فى البترول •

لم تجذب **الأردن** الآرمن النازحين بعد الحرب العـــالمية كونهـــا بلاد صحراوية ، ومع ذلك فهناك جالية أرمنية صغيرة فى عمان • أما فى القدس ، فلا ننسى أن دير مار يعقوب الأرمنى له مركزه فى حياة الكنيسة الأرمنية وهو مقر لبطريركية القدس الأرمنية وله كاتدرائية ومتحفه المشهور بالمخطوطات •

٥ ـ الأرمن فى ايران والهند :

بعد أن اعتلى شاه عباس عرش ايران فى القرن السابع عشر وعندما أراد توسيع رقعة نفوذه وسار نحو الشرق والشمال وجد فى هذه المناطق عنصرا قد يتكل عليه فى بناء مجتمع راق • استدعى الأرمن الى ايران ومنحهم الامتيازات للبدء فى تطوير ايران • وسرعان ما استقر الأرمن فى ايران ، بعد آلام التنقل والهجرة من وطنهم ، سعوا لبناء مجتمعهم وانخرطوا فى التجارة والصناعة وأصبحوا من أبرز صناع السجاد العجمى •

يعيش الأرمن فى طهران وتبريز واهفاز وعبدان ، كما وأن جالية أرمنية تعيش شمال ايران بالقرب من بحيرة أورميا •

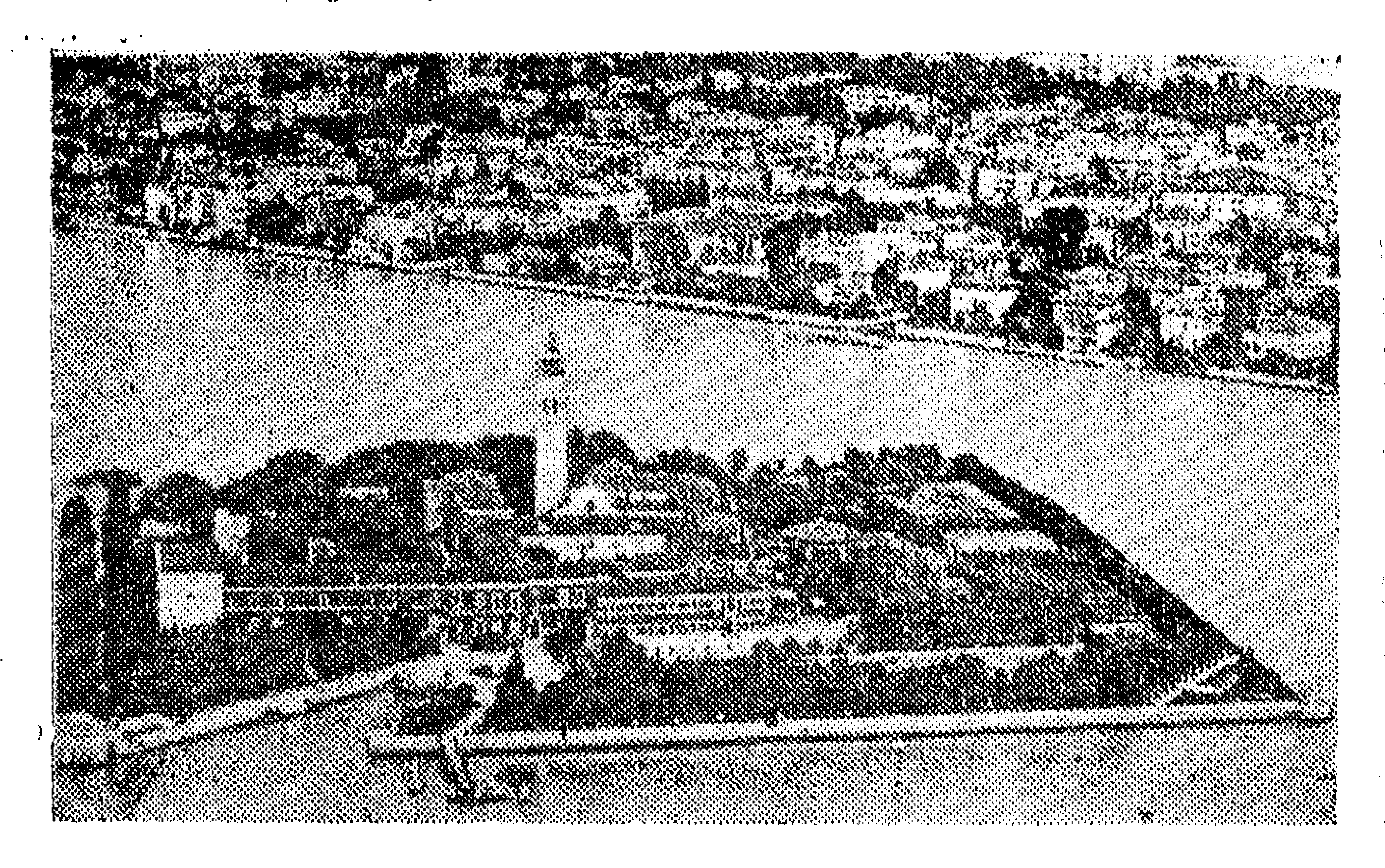
للأرمن فى طهران حياة اجتماعية وثقافية خصبة ، كما ولهم ممثلون فى الحياة السياسية ، أما بالنسبة لأرمن الهند ، فقد قل عددهم حاليا • وهناك جالية قليلة فى مدراس وبومباى •

٦ ـ الأرمن فى ايطاليا وفرنسا :

تاريخ الجالية الأرمنية فى ايطاليا يرجع الى القرون الوسطى حين كانت مرافىء جنوى وليفورنو والبندقية تشهد نشاطا تجاريا مـــع بلاد الشرق الأوسط • لقى الأرمن مجالا واسعا لنشاطهم فاستقروا فى روما وميـــلانو والبندقية ، لكن ايطاليا كانت بالنسبة للأرمن مركزا للثقافة والفن ، حيث

يوجد فيها مقر الجمعية المخيطارية فى البندقية والاكليريكية العلياء التى أسسها البابا ليون الثالث عشر فى روما للشباب الأرمن الملتحقين بالسلك الكهنوتى .

أما فى فرنسا فالأرمن موزعون فى مدنها الكبرى : باريس ، ومرسيليا وليون وهناك جاليات صغيرة فى فالانس وسان شامون وفيان .



البندقية : دير الآباء المخيطاريين

٧ ـ الأرمن فى البلقان واليونان :

سكن الأرمن فى اليونان وبلاد البلقان بعد الحرب العالمية الأولى . وكانت أثينا وبيريا أهم مراكز أعمالهم . غير أن الأرمن فى اليونان عانوا كثيرا من المجاعة والبؤس التى أوقفت تقدمهم .

بوخرست كانت مركزا لنشاط الأرمن فى دول البلقان حيث أن شعوب البلغار والرومين (رومانيا) ساعدوا الأرمن فى تكوين أنفسهم وأعطوهم الصلاحيات المتوفرة لضمان مستقبلهم .

٨ ـ الأرمن فى أمريكا اللاتينية :

يواجه أرمن أمريكا اللاتينية خطر ذوابهم فى شعوب البرازيل والأرجنتين والارغواى . يحتل الأرمن مراكز مرموقة على الصعيد الاقتصادى فى سان باولو ، وريو دى جانيرو ، ومونتيفديو ، وكراكاس ومراكايبو وخصوصا فى بوينس ايرس عاصمة الأرجنتين .

٩ ـ الأرمن فى كندا والولايات المتحدة :

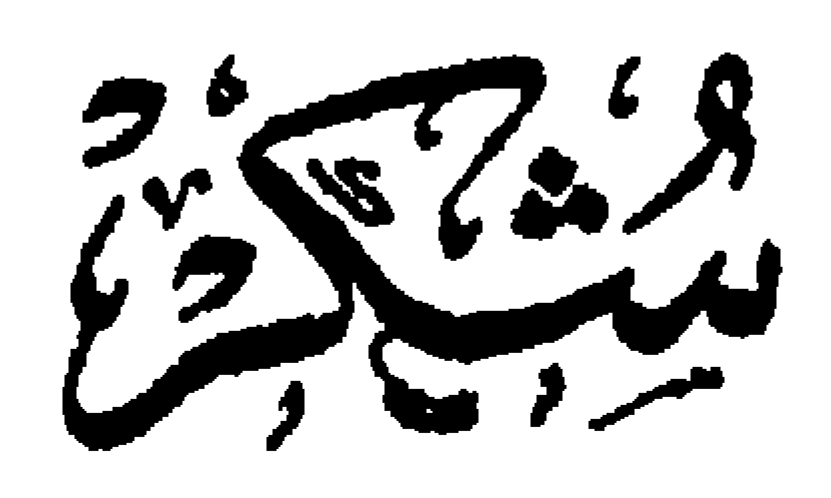
الجالية الأرمنية فى كندا حديثة ، تكونت بعد أن هجر الأرمن اليهـا قادمين من مصر وسوريا ولبنان • بدأ الأرمن بتنظيم حياتهم الاجتماعية فى مونتريال وتورونتو بعد أن عانوا فى البداية من مشقة تكوين العمل والمركز والمقر •

أما فى الولايات المتحدة فالجالية الأرمنية قديمة • هجر الأرمن الى الولايات المتحدة بعد مذابح عبد الحميد سنة ١٨٩٥ ، ثم زاد عددهم بعد سنة ١٩١٨ • يتمركز الأرمن حاليا فى كبرى مدن الولايات المتحدة ولا سيما فى نيويورك وبوسطن وفيلادلفيا وشيكاغو وسان فرانسيسكو ولوس انجلس • تنشيط الجمعية الخيرية العامة الأرمنية التى يرأسها **اليك مانوكيان** وتنظم الحياة الثقافية والتربوية فى الولايات المتحدة • حاليا يوجد فى أميركا جرائد أرمنية يومية ومدارس ونوادى •

توصل الأرمن الى احراز مراكز عالية فى الاقتصاد والتجارة • عـدة خبراء أمريكيين من أصل أرمنى يشغلون فى النشاط الثقافى الاميركى • لكن أميركا أيضا ، بكبرها وكثافة سكانها وجاذبيتها تشكل خطرا على الأرمن ، حيث هناك مخاوف عديدة من أن الأرمنى المعاصر ينسى قوميته وتراثه ولغته •

١٠ ـ احصائيات الأرمن :

جمهورية ارمينيا السوفيتية	٢٫٢٥٠٫٠٠٠
جيورجيا واذاربجان	١٫٢٥٠٫٠٠٠
روسيا	٦٥٠٫٠٠٠
ايران	١٤٠٫٠٠٠
سوريا ولبنان	٣٠٠٫٠٠٠
الدول العربية	٤٠٫٠٠٠
تركيـا	١٠٠٫٠٠٠
فرنسا وايطاليا وأوروبا	١٥٠٫٠٠٠
البلقان واليونان	١٢٥٫٠٠٠
الولايات المتحدة وكندا	٣٥٥٫٠٠٠
أميركا اللاتينية	٧٠٫٠٠٠
بلاد أخـرى	٧٠٫٠٠٠
	٥٫٦٠٠٫٠٠٠



شكرا لك أيها العربى الأصيل ، لأنك غمرت بعطفك شعبا شرده العنف وأباده التعصب ، ولهذا الشعب فى تكـــوين بنيان الأمم ، مكان مرموق ، ويحتل فى هيكل البشرية لا حجرا فحسب بل عامودا وقوسا .

شكرا لك أيها العربى الأصيل لأنك أنقذت شعبا عرفه التاريخ بالقوة والجأش ، وكلما دونت هذه الأمة حدثا بمداد شجاعتها ، محتها ثانية بعرقها ودمها لتصلح آهلة لتدوين حدث أعظم .

شكرا لك أيها العربى الأصيل ، نحن نشعر اننا لسنا ضيوفا عندك ، فالضيف يشرب القهوة ويخرج ، بل أنت أعطيتنا البن لطحنه معك ، فطحناه سوية ونقاسمنا المتاعب والفنا معا الأفراح والأحـــزان ، فاحترمتنا احترام المخلصين وحفظت على تراثنا حفظ النفوس الأبية .

شكرا لك أيها العربى الأصيل ، كنا نحتار بعد التشرد أى باب نطرق لأن الباب العالى خاب أملنا فرأينا باب منزلك مفتوحا على مصراعيه ، مصنوعا من أشجار أعمالك لا من مكر وخداع ووعد .

شكرا لك أيها العربى الأصيل ، منذ ستين عاما تركنا بيـــوتا وهجرنا قصورا شيدتها لنا الدولة العثمانية ، ولكن سرعان ما سكناها شعرنا أنها سجون بين جدرانها نصبت المشانق وعلقت آلات العذاب ، فضلنا خيمتك البسيطة علما بأنها صنع عرقك وحياكة تفانيك .

شكرا لك أيها العربى الأصيل ، اعتقادنا اليوم هو اننا لم نخيب أملك وأنك مقتنع بأننا عنصر فعال بين قومك وانك تتأسف لما حصل لنا من كوارث ومحن ، وبما انك ضمدت جراحنا ، نتعهد بالاخلاص لك وبخدمة مصالحك ساعين دائما وأبدا فى خوض معاركك فى شتى المجالات حسب امكانياتنا ، واننا واثقون انك سترى ــ كما رأيت فى ستين عاما ــ اخلاصنا لك ولترابك ولقضيتك .

المؤلف

محتويات الدراسة

مقـــدمة ٣
أصل الأرمن ، بيئته ، لغتـــه ، شخصيته ٥
الأرمن شعب مستقل فى دولة كبرى ١٢
الأرمن أول دولة مسيحية فى العـــالم ١٥
افارايرا : ملحمة كتبت بالدم ١٩
أرمينيا والعرب ٢٤
كيليكيـــا ٢٩
العصر الفضى فى كيليكيا القرن ١١ ـ ١٢ . . . . . . ٣٧
الأرمن فى الدولة العثمانية ٣٩
الأرمن أعداء وحلفاء الفرس والروس والعثمانيين ٤٧
١٩١٥ : شعب يبـــاد ٦٣
أرمينيا جمهورية مستقلة ٧٣
أرمينيا السوفيتية ٧٧
الأرمن اليوم ٨٥
شـــكر ٩٥

رقم الايداع ١٩٧٨/٤٠١٢

مطبعة اطلس بالقاهرة

